الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر

المكتبة
الثقافية
العدد ٢٥٣

عبد الرحمن شكرى

١٨٨٦ - ١٩٥٨

نظرات فى شعره

بقلم

الدكتور أنس داود



المكتبة الثقافية
«جامعة حرة»
٢٥٣

عبد الرحمن شكري

١٨٨٦ - ١٩٥٨

نظرات في شعره

بقلم
الدكتور أنس داود

الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر
١٩٧٠

الإهداء

الى روح الفقيد الغالى

الاستاذ الأديب

محمد مصطفى عطا

شرف كلمة ، ونبل احساس ، وكبرياء خلق ؟

أنس داود

مقدمة

عاش حياة اليمة ، ولكنها مجيدة ، لم يحن رأسه لأحد ، ولم يقل كلمة زلفى لحاكم أو أمير ..

وظل شرف الكلمة ، وقداسة الفكر ، ونقاء الشاعر؛ ورحلته عبر عوالم المطلق ، أسمى ما يطمح اليه ، وما يكرس له جهـــده اليومى .. ثم مضى فى صمت ، كمـــا يمضى القديسون والشهداء ..

وترك لنا ديوانا ضخما، ومجموعة ثرية من الاعترافات النفسية ، والنظرات الصائبة فى النقد وفى الحياة .

وما زال مجهولا بين بنى وطنه ..

وهذه الصفحات .. صـــدى عكوف على شـعره ، ومحاولة للسياحة فى عالمه الخصب الرحيب .. وربما كان العكوف أقل مدى مما كان شـعر هذا الشاعر العظيم فى حاجة اليه .. غير أنه بداية لقاء معه ..

ولتكن هذه الصفحة أولى تحايانا لهـذا الروح الذى عاش فى طهارة الملائكة ، وفى نبالة الشهداء .

قضية هذا الشاعر

١٨٨٦ – ١٩٥٨

الشاعر :

ينتمي عبد الرحمن شكرى الى أصول مغربية ، غرست جذعها فى التربة المصرية ، فى غضون القرن التاسع عشر، وذابت فروعهـا مع النسيج الوطنى العام ، فاتهم والده بمناصرة العرابيين ، وبصداقته لفريق منهم ، وبخاصـة عبد الله النديم ، وناله قسط من الاضطهاد العام ؛ فحوكم وسجن • (١) •

وقد ولد شاعرنا فى مدينة بورسـعيد فى ١٢ من أكتوبر عام ١٨٨٦ •• وتلقى تعليمه على غرار زملائه فى ذلك الحين •• غير أنه وجد مكتبة حافلة بدواوين الشـعر العربى لدى والده ، فنهل منهـا صبيا ، الى أن التـحق

(١) انظر سيرة حياته بقلم تلميذه وصديقه الاديب نقولا يوسف فى مقدمة «ديوان عبد الرحمن شكرى» •

بمدرسة المعلمين العليا ، وقد كانت نافذة مفتوحة ــ آنذاك ــ على الآداب والعلوم الحديثة ·· فتكون شاعرنا فى حضن الآداب الانجليزية ، ووجد صـــلة قربى بينه وبين شعراء المدرسة الرومانتيكية ، وما كان يعانيه بيرون وشلى وكيتس ووردزورث وكولردج من تطلع الى عوالم الحرية والجمال ، ومن رفض للقيم المتوارثة، والمواضعات الاجتماعية الزائفة، ومن ولـــوج الى عالمهم النفسى المغلق ، يتأملون ذواتهم ، ويتغنون بالألم الانسانى الخلاق ·· ويعانون ــ فيما يرون ــ محنة التفرد والامتياز ·

وكان قد وجد طريقه الى شعرائه الأثيرين من تراثنا الشعرى ، فالتفت بخاصة الى ابن الرومى وأبى العلاء ، لما ينزع اليه الشاعران من شكوك فكرية، ومن قلق اجتماعى، ومن سيطرة لأوهام التشــاؤم ، وهواجس الظنة عند ابن الرومى ، وشك فى طبيعة الانسان وجدوى حياته عند أبى العلاء ، وما كان شاعرنا يجد فى نفسه من هذه النوازع والهواجس ·

ويقودنا هذا الطريق الاستقرائى الى ملمحين أساسيين من ملامح شاعرنا ·· حيث ينشر المضمون الرومانتيكى خيمته على شعره ، فيحتوى مافيه من تغن بالألم ، ونشدان للخلاص بين أجواء الطبيعة الرحبة ، وهيام بمشاهدها ، ومعايشة لأوهام الشاعر ، وأحلام يقظاته ، واستشراف دائم للمثل العليا فى الفن والحياة ، وهجاء للمجتمع ونظمه وتقاليده وسلوك أفراده ·· بينما يستمد الشاعر أسلوبه

وطرائق تعبيره من نسق أشبه ما يكون بابن الرومى ، فى طول قصائده حينا ، ومحاولة استقصائه للفكرة ، وتوليد المعنى من المعنى ، والبعد عن التركيز والتكثيف الذى نجده لدى شاعر كبير كالمتنبى والذى نجده أخص خصـــائص النماذج الممتازة من شعرنا المعاصر ، ومن ثم تمتد القصيدة، وتنفسح رقعتهـــا ، فتفقد وحدتها ونمـــاءها العضوى ، وانبثاقها من تجربة شـــعرية عميقة ومحددة .. مع أن الشـــاعر كان من أوائل من تنبهـــوا ــ فكريا ــ الى وحدة القصيدة ، وضرورتها فى الشعر الحديث ، ونعى على نظام القصيدة القديم ، ومن ينهج على منواله ، فقال فى مقدمة ديوانه ــ الخطرات ــ الصادر فى عام ١٩١٦ .. وهو عام مبكر بالنسبة لهذه الدعوة الى حد ما :

« يعدون كلّ بيت وحدة تامة ، وهــذا خطأ ، فان قيمة البيت فى الصلة التى بين معناه وبين موضوع القصيدة، لأن البيت جزء مكمل ، ولا يصح أن يكون البيت شـــاذا خارجا عن مكانه من القصيدة ، بعيدا عن موضوعها ... فينبغى أن ننظر الى القصيدة من حيث هى شيء فرد كامل، ومثل الشاعر الذى لا يعنى باعطاء وحدة القصيدة حقهـــا مثل النقـــاش الذى يجعل نصيب كل أجزاء الصورة التى ينقشها من الضوء نصيبا واحدا »

(٣٦٦) (١)

(١) ارقام الصفحات بالنسبة لديوانه الكامل الذى طبع على نفقة الاستاذ عبد العزيز مخيون ، وحاول فيه الاستاذ نقولا يوسف ان يضم كل ما وصل اليه من شعر عبد الرحمن شكرى .

ولعلنا ما زلنا نذكر كيف أنكر معاصرو ابن الرومى عليه شاعريته ، ولم يسلكه كثير من الدارسين القدامى مع كبار شعراء العربية ، وضنوا عليه أن يكون على قدم وساق مع أبى تمام والبحترى والمتنبى وأضرابهم ·(١)

ومثل هذا الحيف ليس بمستبعد أن يلقاه شاعرنا من قرائه ودارسيه ·

بين معاصريه :

ولقد كانت صورته محيرة فى نظر معاصريه ··

فهو فى نظر المازنى لا أسلوب له بل مقلدا لجميع ما يقرؤه ، وليس لمضمون شعره قيمة ، فان الخيال ـ كما يقول المازنى ـ يجب أن يطير بجناحين من الحقيقة ، وان كل كلام ليس مصدره صحة الادراك ، وصدق النظر فى استشفاف العلاقات ، لا يكون الا هراء لا محل له فى الأدب، ومتى كانت حمى الحواس ، وهذيان العواطف ، وضعف الروح ، تعيش فى عالم الشعر » ·

وهو فيما يرى الدكتور رمزى مفتاح ـ أحد شعراء أبوللو ونقادها ـ شاعر عظيم الموهبة ·· تأثر العقاد بشعره

---

(١) يقول أستاذنا العقاد على طريقته الجدلية المرونة فى كتابه عن ابن الرومى « وكان خموله اظلم خمول يصاب به الادباء ، لانه الخمول الذى يحفظ ذكر الاديب ، ولكنه يخفى اجمل فضائله واكثر مزاياه » ابن الرومى ـ ط ٥ ص ٦ ·

بل سـطا على فرائده ، وحاول احتـذاءه دون أن يلحق بغباره ..

وقد بسط الدكتور رمزى مفتاح هذا الرأى فى مقالات نشرت في مجلة « أبوللو » ـ ابريل ١٩٣٣ ، يونيه ١٩٣٤ ـ ثم أفرد لها كتابا بالعنوان « رسائل النقد » ، وفيه يرى أن عبد الرحمن شكرى هو «الزعيم الأكبر ، وخالق المدرسة الحديثة فى الشعر العربى » (٧)

وفيه يتتبع سرقات العقاد من شكرى ، وعلى سبيل المثال، يورد قول شكرى فى قصيدته «يا وضىء البسمات» :

سـألوا فى أى حال هو أحلى فى الصفات
قلت أحلى ما تراه فى حديث اللحظات
فـاذا أرخى لحاظا كان أحلى فى السبات
وهو أحلى منه ان فاه ، وأحلى فى الصمات
واذا صد فما احلاه جهم النظرات
فاذا لان فما أحلاه طلق اللمحات
كل حال منه أشهى حالة فى الحسنات

ويرى أن العقاد قد سرق هذه الصفات على غير دراية، وانتهى بها الى المسخ والتشويه (٩١ وما بعدها) فى قوله :

صفه غضبان وصفه لاعبا بين اللدات
ضاحكا كالصبح يمحو بالضياء الظلمات

صفـــــه في كل كساء

صفه في كل الجهات(١)

وقد كنت قارئا قديما لشعر العقاد ، وهذه القصيدة التي يشير اليها رمزي مفتاح من أجود شعره الغزلي ، فما ان تصفحت ديوان شكري هذه الأيام حتى لاحظت هذه المشابهة بين القصيدتين ..

وفي الكتاب أمثلة أخرى أوردها رمزي مفتاح غير أن ما أحاط به دعواه من هجوم شخصي على العقاد ، أوهن من قدرته على الاقناع ، وترك هذه القضية ــ سرقة العقاد من شكري أو تأثره به ــ في حاجة الى جهد علمي جديد .

وكان رمزي مفتاح أحد الأصوات . القليلة ــ ان لم نقل النادرة ــ التي أضفت هذا التمجيد على شـــكري ؛ بينما ظل نصيبه عند كثرة الدارسين لمحة عابرة هنا أو هناك، لا توفر للقارىء معرفة قريبة من الكمال بالشاعر، الى أن أرخ له ضمن محاضرات في الشعر المصري بعـــد شوقي الناقد الذواقة الدكتور محمد مندور .

(١) نشير هنا الى بيت من قصيدة العقاد هو :

ذهبي الشعر ساجي الطرف حلو اللفتات

أخذه على محمود طه في قصيدته الشهيرة التي يتغنى بهـــا عبد الوهاب فجاء فيها على هذا النحو :

ذهبي الشعر شرقي السمات

مرح الأعطاف حلو اللفتات

فرأى الدكتور مندور فى شكرى ، أنه شاعر التأمل النفسى أو الاستبطان الذاتى .. يرتفع أحيانا الى قمة الشعر بينما يهبط أحيانا أخرى الى مستوى النثر المسطح، كما يتأرجح بين غزارة الرؤية الشعرية ، وبين غموض النفس ، والتواء العبارة ، فعبد الرحمن شـــكرى نفس قلقة . كثيرة الشكوك والهواجس ، معـذبة بملكاتها ، ومثـــل هذه الحـالة النفسية لم يكن بد من أن تصيب شعره أحيانا كثيرة بعدم الاستواء . (١)

وأخيرا صعد بشعر شكرى فى الحب والغزل جامع ديوانه الأديب نقولا يوسف الى أعذب وأعظم ما فى الأدب العالمى بأسره . (١٣) . (٢)

وهكذا تتأرجح صـورة الرجل بين التقدير والانكار على مغالاة هنا وهناك ، بينما ينسدل عليه ســـتار من النسيان الجماعى ، فتتوالى الدراسات عن الشعراء المحدثين

---

(١) د.. محمد مندور ـ الشعر المصرى بعد شوقى . ١٩٥٥ ص ٨٢ ومابعدها ..

(٢) استكمالا لآراء الدارسين ، نرى ضرورة رجوع القارىء الى آراء الاستاذ عمر الدسوقى والدكتور شـوقى ضيف فى كتبهما عن الادب الحديث ، وكان همنا هنا ان نجمـل وان نومىء ممهـدين لدراستنا فحسب .

والمعاصرين دون أن يذكر الرجل الا لماما ، وتشير الدراسات الى تأثير مطران أو تأثير شعراء المهجر أو شعراء أبوللو فى هذا الشاعر أوذاك ، أو فى هذا الاتجاه الشعرى أو ذاك ، بينما نفتقد تأثير شكرى فى أى من الشعراء والاتجاهات التى تلته ! .

فهل عدل التاريخ حين نسى هذا الشاعر ؟ وهل أنصف شعراؤنا حينما رأوا أسلافهم فيمن ذكرنا دون أن يخطر ببالهم تصفح هذا الشاعر ؟

هذه هى القضية .

ديوان ضخم

دواوينه :

في مدى عشرة أعوام بين عامي ١٩٠٩ ـ ١٩١٩ كان قد صدر للشاعر سبعة دواوين شعرية، هي على التوالى :

ضوء الفجر	١٩٠٩
لآلىء الأفكار	١٩١٣
أناشيد الصبا	١٩١٥
زهر الربيع	١٩١٦
الخطرات	١٩١٦
الأفنان	١٩١٨
أزهار الخريف	١٩١٩

ثم استمر الشـــاعر بعد ذلك ، وحتى مماته ، أى قرابة أربعين عاما لا يحتفى بنشر ديوان له ، ولكن جامعى ديوانه بعد وفاته ، استطاعوا أن يلموا شـــتات القصائد

التى أنشــأها الشاعر ، ونشرها فى المجلات الأدبية على هذا المدى المتطاول ، وبذلك أتمت هذه المجموعة ديوانه الثامن ؛ وقد صدرت الدواوين الثمانية ــ مؤخرا ــ فى مجلد واحد بعنوان « ديوان عبد الرحمن شــكرى » فى قرابة سبعمائة صفحة . ومن هنا أول مزالق الغبن لهذا الشاعر ؛ فالمرحلة طويلة ومجهدة .

ديوانه الأول :

وتبدأ الرحلة بديوان هزيل ، يكاد ينفر القارىء من شعره ، فأسلوب الشاعر يكاد يكون نثريا ، يتسلط عليه الفكر اليقظ ، ويصطنعه اصطناعا :

قنوع اليأس يجحدنى رجائى وهم النفس داعية الرجاء
وقد غلبت صروف الدهر حز مى فجالدت المصائب بالنجاء
وقد سلبت صروف الدهر منى كما سلب البقــاء من البهاء
وقد يغنى العزاء عن التمنى وقد يغنى الطلاب عن العزاء
أ أجزع من مجالدتى الرزايا كأنى لست فى طلب العلاء
(٦٥)

وهواجس الشاعر تطارده ، ولا تجعله قريبا من نفس القارىء ولا محبوبا ، ولا مثيرا للعطف .

من هواجسه النفسية :

فالحسد مثلا ـ ويكاد يكون هاجسا مرضيا ـ يراه الشاعر فى كل شىء ، فالزهر محسود البهاء ، والبحر ذو مهجة موصوفة بالحسد ، والمشنوق له حال حسود ووقفة محسود، والشاعر شقى بنفسه ، والحسود عذيرها ، وما يبالى أن الهوى يبرئه حين يرميه حسود بالتهم ، وقد نقم عليه الحساد أنه صابر :

فيحاء زان شبابها لون الربيع الأزهر
حيث الفرائد جمة تزهو بأروع منظر
من كل محسود البهاء مكلل ومنور
فى وصف حديقة (٣٧)

كأنه ذو مهجة موصوفة بالحسد
(٢٨)

جمعت حوله الورى فله حا ل حسود ووقفة المحسود
(٤٤)

شقيت بنفسى والحسود عذيرها
فكيف شقائى والحبيب عذولها
(٥٣)

ما أبالى والهوى يبرئنى ان رمانى حاسد بالتهم
(٦٠)

نقم الحساد أنى صابر رب صبر فى فؤاد البائس

(٦١)

ثم نقرأ له أخيرا :

ماذا أفادت بنات الشعر قائلها

الا عداوة حســـــــاد وعذال

وهكذا يحاصر الحسد الشاعر ، ويلون الحياة والأشياء بلونه فحيث تلفت لايجد الا الحسد (١) .

وتمتد هذه الظاهرة فى شعره ، حيث تبدو فى ديوانه الأخير ، بصورتها المرهقة لنفسية الشاعر والقارىء معا ، حيث ينتهى الشاعر الى أن الحياة ليست أمام عينيه الا بحرا للحسد :

يسبح الأحيـــاء فى بحر الحســد

فاعتصــم بالصبر فيه والجلد

واقتعد صـــهوته مستبشرا

سابحا فى الموج منه والزبد

(٦١٦)

ثم نجد الشاعر ـ فى هذا الديوان ـ يتفلسف تفلسفا عييا ، ويدور ـ عاجزا ـ حول الاشـــياء والفكر التى دار حولها أبو العلاء بذكاء وفطنة ، وعلم غزير ، فنجده مقلدا صغيرا ، مهاترا .. والى جانب ذلك نجده شديد الاعتداد

(١) انظر ـ على سبيل المثال ـ ص ٤٨ ، ٥٧ ، ٧٣ .

بنفسه ، كثير النعى على انكار مجتمعه له ، كثير الشـكوى من خمول ذكره ••

فاذا اتجهت الى تصفح أدواته الشعرية ، وخصائصه الفنية ـ فى ذلك الديوان ـ بعد أن ضاقت نفسك بمضامينه التى تترجح بين المرض واللجاجة •• وجدت نسيجا نثريا مسطحا ، خاليا من الخصائص الفنية القوية ، التى تفرض نفسها فى تكوين الصورة ، وتلوين اللغة ، بل وخلق المعجم الشعرى الخاص ••

هذه ـ اذن ـ هى صورة الشاعر للوهلة الاولى ، وهى غير مشجعة على التأنى فى دراسته ، وتكاد تستنجد بكلمات المازنى لتخلص منه ••

ومما يزيد الطين بلة ـ كما يقولون ـ ان بعض ذلك الوهن يستمر فى شـعره ، ويظهر على آماد متفاوتة عبر دواوينه •• وتحتاج الجياد من قصائده الى صبر وأناة ، حتى يستطيع القارىء أن يصل الى ما يمثل جوهر نفسه ، وزبدة شاعريته ، وهو قدر من القصائد يستطيع أن يضعه ـ بلا ريب ـ بين شعرائنا المجيدين ••

وليت أحد الدارسين يعكف على هذا الديوان الكبير ، فيخرج منه بتلك اللآلىء المبعثرة بين أصدافه • ويضعهـا يسيرة التناول بين أيدى القراء •

نحو من عشرين قصيدة :

وهذه محاولة أولى لاختيار نحو من عشرين قصيـدة لاجراء دراسة عليها ، تعتبر من روائع شـعره ، ويعتبـر

بعضها من فرائد ما أنتجته قرائح شعرائنا المعاصرين ٠

وربما يجىء دارس ـ بعد ذلك ـ فيضيف الكثير من قصائده الأخرى ؛ فالرجل كما كان يقول عن نفسه ، وكما ينعته محبوه وتلاميذه كنز أشعار :

من كل معنى يروع الفهم طائله
معنى من الجان فى لفظ من الجان
من كل معنى كموج البحر مطرد
جم الجلال فلولا الله أعيانى
(١٦٥)

وليس اصطفاء ذلك العدد القليل فى مجال الاستجادة أمراً مزريا بشاعرية الشاعر ، ولا بمستغرب فى تاريخ الأدب فعلى مدى العصور تتضاءل حصيلة المعجبين من شعر الشعراء ، فتظل أسماء ، يتردد صداها ببضع قصائد ، أو ربما بقصيدة واحدة ، أو مقطوعة ذات دلالة انسانية وفنية خاصة ٠٠ وهكذا يتوارى مجموع نتاج المتنبى وابن الرومى وأبى تمام وأبى العلاء وغيرهم ، فلا تذكر الا قصيدة لهذا أو أبيات متفرقة لذاك ٠٠

محاولة تصنيفية :

وقبل أن نطرح فى دراستنا هذه الكثير مما قاله الشاعر ، يحسن بنا أن نقدم للقارىء هنا محاولة تصنيفية لهذه القصائد ، التى لا تخلو من فلذ شعرية ، ولا من أبيات

فريدة ، والتي لكثير منها قيمة اجتماعية في دراسة حياة الشاعر قل نظيرها ، فكثير منها مباشر في دلالته ، يوضح أطرافا من سلوك الشاعر اليومي ، ومتاعبه المهنية، وعلاقاته الاجتماعية .. وهذه هي المحاولة :

(أ) ملامح نفسية واجتماعية :

١ ـ هجائيات :

مجموعة من قصائد الهجاء المباشر ، لمن ينفس على الشاعر شاعريته ، ومن ينتقص قدره ، أو يسرق منه درره ، أو يلاحقه بالضغينة والرياء .. ويشتم من بعضها أنها موجهة الى المازني أو العقاد .. ولو أن الشاعر ينفي ذلك في مقدمة ديوانه السابع ـ أزهار الخريف ـ ويتهم من يحزر ذلك بالجهل :

« انى لا أعنى أحدا بقصائد الهجاء .. ولذلك أرى من العبث والجهل بفروض الشعر ، قول قائل انى أعنى أحدا بما أقول في أى باب من أبواب الشعر » (٥٠٤) .

وعلى أية حال فقد وجدنا أننا لسنا أول أولئك الجهلاء ، حيث رأينا من يؤكدون في دراسات سابقة أن الشاعر كان يعنى بالفعل زميليه وصديقيه السابقين : العقاد والمازني .. ولسنا نتتبع هنا سيرة الشاعر حتى نحقق هذه القضية .. وما يهمنا هنا ـ فحسب ـ أن نشير الى هذه الظاهرة في شعره ، وهي هذا الهجاء المرير لمن يسرقون شعره ، ويلغون في سيرته .. في مثل القصائد :

صرصور الشعر : ٤٢٤ ـ الروضة المنتهبة : ٤٢٩ ـ لص أم أديب : ٣٩٢ ـ نذالة التعساء : ٦٢٥ ـ صورة الصداقة والعداوة : ٦٣٠ ـ صديق البلاء : ٦٣٥ ـ أقوام بادوا : ٦٤٣ ٠

وغير هذه القصائد كثير في دواوين الشاعر ٠٠ وصورة الشاعر من خلالها أنه مبدع ، وعبقرية فذة ، وأن أحقاد الأديب هذا أو الشاعر ذاك تتابعه ، لأن سخائم النفوس لا تسل ، ولأن عبقريته الباهرة ، تدعوهم لذلك ٠ وقد يذكرهم الشاعر في بعض هذه القصائد بأن الكل بائد ولا شيء يستأهل في هذه الحياة منافسة ولا لجاجة ٠٠ فالشعر زائل ، كما زالت الحضارات ٠ وأنه لذلك سيصمت وسينسحب من الميدان ، تاركا لهم الجو خاليا ليستنسر بغاثهم والشاعر لاذع اللفظ أحيانا ، مقذع في هجائه ، ملء النفس بالمرارة والسخط ٠٠

٢ ـ في الشكوى :

من هموم الحياة الصغيرة : كتأخره في سلك الترقي الوظيفي ، أو انصراف الناس عن الالتفات الى عبقريته ، أو ما يخاله ترصدا من البشر لطموح نفسه ، وعلو همته ٠٠ مثل قصائد :

شكوى : ٤١٥ ـ شقوةالعيش : ٤٠٥ ـ المموه : ٤٠٣ تمثال سوء : ٤٢١ ـ سم الحسة : ٥٦٠ ٠٠ وغير ذلك كثير ٠ فالناس ـ في نظر الشاعر ـ يتسمون بالغباء ،

والمجتمع يرين عليه الجهل والخمول ، وسيظل هذا حال المجتمع الانسانى ، ولا أمل للشاعر :

ودهم مثـل بغضهم فيه عدوى
مثل عدوى تسعى بهـا الثـؤباء
ويرى المـرء أنه كـل شيء
هو تبر وما عـداه هبـاء
مركز الـكون ، حـوله دارة
الأفق ، وبهو من فوقه وسـماء
ولقـد تحمـد الخليـل طويلا
ثم يبدو ما كان منـه انطـواء
فاذا الغـدر شيمـة وطبـاع
واذا الـود والـوفاء ريـاء
(٥٩٢)

وفى خضم هذه القتامة قد تومض بعض الأبيات بالأمل فى المستقبل ، وقد تنفجر النبوءة زاخرة بالوهج الروحى ، والشفافية المؤثرة :

لئن خاننى الذكر الجليـل وملنى
مسامع قومى أو غلبت على أمـرى
سـيروى عظامى شـاعر بدموعـه
وينثر أزهار الربيـع على قبرى
اذا جننى الليل البهيم أطـاف بى
خيالا له يزرى على صفحـة البـدر

يجيء مجيء النـــوم من حيث لا أرى
ويسمعنى ما قد قرضت له شـــعرى
فيا ساكنا فى الغيب هـــذى نبوتى
فذكر بها القوم الألى جهلوا قـــدرى
أتيح لهم صـــاد الى النهـــلة التى
شربت بها ريا يبل جـوى صـــدرى
فساموه أن يسعى على منهج عفـــا
قديما كما يسعى المقيـــد فى الأسر
(١٦٧)

٣ - بكائيات :

على حب ذاو ، بلغة مباشرة ، ووسائط فنية تقليدية. تتسم بالاسراف فى التدلل ، والخضـــوع للمحبوب الذى لا يبالى به ، ولا يحس بأساه ، ويتكرر فيها ذات الموقف فى القصيدة بعد القصيدة .. كما فى قصائد :

الهوى حلم العمى : ٤٣١ ـ ملك القلوب : ٤٠٩ ـ التفاهم فى الحب : ٤٠٨ . الى غير ذلك من القصائد وهو كثير .

والحبيبة دائما أعظم ما فى الوجـود ، وأبهى من كـل المرئيات ، والشاعر أبدا متعبد فى محراب الهوى ، مقيم دائم على الوفاء ، مهدد حينا أو مذكر بأن الحسن يذوى كما يذوى كل شيء فى الوجود ، وأنه سيكون نهبا للهرم ، أو نهبا للدود فى باطن الثرى ..

وفى بعض قصائده ولع بتصوير هذه الصورة الاخيرة المنفرة ، وتجسيدها أمام الحبيبة والدود يعيث فى رمتها ·· وهى صورة مخيفة حقا ·· ولست أدرى هل تنعطف حبيبة نحو من يحبها آذا راعها بذلك أم تزداد نفورا منه ، وشكا فى ذوقه ، وفى نوازعه النفسية على السواء ·

وتبدو الحبيبة حينا سابحة فى جو من النضارة والبهاء تسبح مع النجوم والأقمار ، وتهفو مع النسائم والأزهار ، كما يسبح الشاعر حينا ـ من حبها ـ فى جو من الحب للمطلق ؛ حتى لتخاله حينا يناجى الله ، مبعث كل جمال فى الوجود عند المتصوفة ، وتخال انك أمام شاعر صوفى يرمز بالمخلوق الى الخالق ·· غير لفتات هنا وهناك تشرخ الصورة ، وتعيدك الى دنيا البشر ، والى حب الشاعر للمحدود ·· فهو يتغنى حينا :

وان ترض عنى فالحياة جميلة
وان تبد صدا فالنهار دياجر
وان تبد لى عطفا فما الكون باطل
ولا العيش خوان ولا الدهر جائر
(٢٢٤)

كأنى لم أعشقك فى كل نبضة
لقلبى ولم أعشقك من حيث أشعر
كأنى لم أعشقك فى كل طرفة
لعينى ولا فى خطرة حين تخطر
(٢٣٩)

ويقول حينا آخر :

فلا تحـــزنن ان أدركتني ســــلوة
فأنت الذى علمتني كيف أصـــبر
فأنساك حتى لست أدرى : أعائش
على الارض تسعى ؟ أم دفين معفر ؟
وأنساك حتى لو عرضت مســـلما
لما سرني منكم سلام ومحضر

والشاعر يحمل أحيانا لحبيبه المنصرف عنه قـــدرا عجيبا من الموجدة ، لم أره عند شاعر آخر :

أحبك حبا لست أهـلا لمثـــله
وما كـل حب للجمـال يطـــيب
فنفسك مثل القبر قبح وظلمـــة
وحسنك غصن فى القبور جديب
(٣٢٧)

وقد تتصاعد الموجدة الى أكثر من ذلك فيقول :

سينفذ فيك الموت أمرا مقــدرا
وتلقى الذى قد كنت قدما تحاذر
ويأكل منك الدود ما شاء حقبـــة
ووجهك مقبوح وعظمـــك ناخر
وريحك ريح النتن لانتن مثـــله
تسد اذا ما شم منـــه المناخر
(٢٢٥)

مع أنه يحمل ذلك الحب الذى تسبح أوصـــافه فى المطلق ؛ حتى لتقارب حبيبته الاله ، كما قلنا، وليتشابه مع المتصوفة فى ألحانهم العلوية ، على نحو ما يقول :

فأنت جميل كالنهـــار وضـــاءة
وأنت جميل كالكواكب والبـــدر
وأنت جميل كالزهور نضــــارة
وفيك جمال الأفق فى وضح الفجر
فيا آية الـــكون الذى أنت عطره
كذاك جمال الروض يحمد فى العطر
(٣١٣)

٤ ـ الاجتماعات :

فللشاعر بعض المشاركة فى الشعر الوطنى ، وتناول بعض التطورات الاجتماعية والسياسية ، وتبادل القريض مع أصدقائه الشعراء ، والثناء على شاعرية بعضهم كالعقاد أو معاتبتهم كالمـازنى .

ومع أن ديوانه يلم بكثير من القضايا الاجتماعية التى كانت مثارة آنذاك ، وكان شاعرنا يقف ـ واعيا ـ ضـــد مظاهر التخلف ، كما فى قصائده :

ـ الزوجة المهجورة تعالج السحر : ١٥٦ ، الحجاب : ١٥٢ ، الحب والحجاب : ١٥٨ ـ الحب الكبير : ١٦١

فان وجدان الشاعر لم يتسع اتســاعا كاملا لـــكل فضائل عصره ، فظلت نظرته الى بعض القضايا نظرة متخلفة

ترزح تحت نير التقليد والتخلف الحضارى ، كموقفه من قضية اللون ، واقراره بالفروق – التى كان يظن أنها جوهرية وطبيعية – بين السود والبيض ، فى قصيدته : « خطأ الحر واصابة العبد » التى يقول فيها (١٦٠) :

اذا ما أصاب العبد فى فعله
فما الفضل الا للذى هو آمره
وان أخطأ الحر الأبى فانه
لأفضل من عبد تهون مصادره

وواضح فى هذه الأبيات البعد عن العاطفة الانسانية وعن الموضوعية العلمية ، غير أن ذلك كان قليلا فى شعره وشعر معاصريه .

٥ – هواجس النفس وتأملاته المجردة :

ومع أن هذا الشاعر كان معنيا بدخيلة نفسه ، وكان مولعا بمظاهر الطبيعة ، فتغنى وتأمل فى البحر والغابة والجبل والصحراء ، وحاول الولوج الى أسرار نفسه ، واستبطان مشاعره – كما سيبدو فى تحليل القصائد المختارة – مع هذا فان لدى الشاعر قدرا كبيرا من المنظومات يتهافت فيها فكره وتهيض شاعريته ، ويدور حول أوهام نفسه وتخليط فكره متوهما أنه يدور حول محاور الحقيقة الانسانية ، ويقترب من الجوهر النفسى ، بينما يدف على أرض جرداء ، فى لغة لا فن فيها ولا شاعرية .

فهو يتفلسف حول قضايا بديهية لا اختلاف حولها ولا خفاء :

خفيت حكمة الحوادث عنا فشقينا شقاوة الجهلاء
لو رأينا منابت العدل فيها لنعمنا بالعيشة الخشناء
لو رأينا مطالع العدل فيها ما شكونا مضاضة الأرزاء
وخداع الحياة أروع جلبا لأسى المرء من خداع النساء

(١٠٨)

أو يتأمل تأملا فكريا مجردا ، بعيدا عن لغة الشعر التجسيدية الموحية :

أكذب الدين ما يقيم قوى النفس
كما يخرس الرياح الركود
انما الدين أن تفك عقال النفس
من اليأس والخمول قيود

(١٠٩)

ونجد فى قصيدته الجمال والعبادة (١١٢) تعليقا على حضارة اليونان ، واستحسانا لما وصلت اليه من فن واعتداد بالجمال .. ولكن القصيدة لا تصور انفعالا عميقا وأصيلا بآثار هذه الحضارة ، ولا لحظة من نشوة الفنان المعاصر وهو يتعبد فى محاريب الجمال والحب ، تذكارا لما أقامته لآلهة الجمال والحب من معابد ، وما قدمته من رفيع الفن وخالد الفكر .. بل يكتفى الشاعر بقوله :

الحب والحسن والأشعـــار دينهم
أنعم بذلك دينـــا بين أديان
لم يزر بالحق حب العيش بينهم
فالحق والحسن ان فـــكرت سيان

وهو كلام خال من جمال الفن ، ومن ذكـاء التفلسف على السواء .

***

وبجانب هذه التأملات الفكرية التي عددناها غير بعيدة الغور ، هناك محاولة لرصد انفعالات الشاعر النفسية .. وخطراته وهواتفه ، غير أنها في كثير من هذه القصائد التي آثرنا أطراحها ، تخرج الى شيء ممـا دعاه المازني « حمى الحواس ، وهذيان العواطف ، وضعف الروح » وذلك أننا في الشعر الذي يسبر غور النفس الانسانية ، نفرق بين شعر يجلي نوازعها ، ويتغلغل في صميم احساسها بالوجود وتناقضـاتها أمام الخير والشر ، وتوزعها بين المعرفة والضلالة وشعر يلم بأعراضها الزائلة ، وأوهامها الحائلة ، وكأنه من وحي الخبل والاضطراب ، كما وسمه به شاعرنا حين قال :

ان رضيت العيش بعـــدكم فحيـاة المـــرء في ألمـــه
أو بكى شعـــري فلا عجب بعض شـــعر المرء من لممه

على أن الشعر سواء أكان من خبل النفس وتخليطها ، أم من عمق التأمل بها ، وتصوير دفائنها يبقى شـعرا اذا ما اكتملت فيه خصـائص الشعر الفنية ، ولذلك فان هذه

المجموعة تظل تخليطا وأوهاما لأنها تتجرد من لغة الشعر وسيمائه ، ولاتحمل سوى الهيكل العروضى الذى لايستطيع وحده أن يحيل الحديد ذهبا .

ولقد كان عبد الرحمن شكرى كثير الظنون بالناس الى درجة مرضية كما أشرنا ، وقد كانت هذه الظنة عميقة الجذور فى نفسه ، ولعله كان يعنى نفسه حينما قال فى كتابه المبكر « الاعترافات » الذى نشره عام ١٩١٦ :

« الشباب المصرى يكثر من اساءة الظن ، وهى صفة اشتهر بها المصريون ، والسبب فى سوء ظنه عصور الاستبداد الطويلة التى مرت على مصر ، فانها أبقت هذا الارث فى نفوس الأفراد ، لأن الاستبداد يبعث سوء الظن » .

ثم يصف الشاب المصرى بأنه « مهيج العواطف ، كثير الغرور ، كثير الشكوى والتعذر ، كثير الحيرة والشك » وهى صفات من أخص خصائص شكرى نفسه .

ولذلك نجد فى شعره هذا اللون من الظنة المرضية :

أنى تلفت لم أبصر سوى رجل
بادى العداوة مخضوب الأظافير
هم يحسدونى على عيشى فوا أسفى
عيشى عليل وصنعى غير مشكور
تكشف الناس عن عاد له احن
وعن ذليل شديد الغل مقهور

الشر والـــكذب والأحقاد طبعهم
والحقد في الطبع باد غير مستور

(٢٥٠)

ومن ذلك الشعر الذى يعرض فيه هواجسه النفسية ، الهتاف الدائم للموت ، واللهج بذكره ، وتصوير جثمـانه أو جثمان حبيبته وقد رتع الدود بين جنباته، فى غير ما ممسوخ من تجربة يمر بها الشاعر ، أو فلسفة يتكىء عليها :

أما آن أن ألقى قضاء يميتنى
فيرتاح حسادى وتسلو المعـــاذر
وينسانى الوغـــد اللئـيم لميتتى
ويرتـــد عنى نابه والأظـــافر

(٢٢٦)

وهو مظهر من مظاهر قلقه النفسى وتوزعه الفكرى ، وفرقه من الحياة والأحياء ٠٠ ولا بأس أن يعرض الشـــاعر للموت ، ولا أن يصوره ، ولا أن يتفلسف حوله ، ولا أن يحسه حينا يدب فى جســـده ، ولا أن يجوس فى عوالم الموتى ٠ لا بأس من كل ذلك على ألا يكون هـــذا فرارا وفرقا وقشعريرة مرض من الحياة والأحياء :

فأصبحت أخشى الناس فى كل خطرة
وأفـــرق من داعى المـــودة ان دعا
ومن شقوة الانسان ان خار لبـه
وأصبح خفاق الأضـــالع والحشى

كأنى بين الناس من أهـــل عالم
جديد غريب أخطأ الأهـــل والحمى
فما لى من عطف لديهم ورحمـــة
ولا لى فيهم من اخاء ولا هـــوى
يعيبون نفسى ضـــلة وجهــــالة
ويرموننى بالســوء والمكر والخنى
فيا شقوة الأيام هل منك مهرب
فأعدو وهل ينجو من النحس من عدا
(٤٠٦)

هكذا تفرق نفس شاعرنا من الحياة والأحياء فى مثل هذه القصائد ، ويكثر فيها الحديث عن النحس والحسد ، ويتمنى الشاعر فيها الخلاص ، لا لأسباب كونية فيتخــــذ موقفا من الوجود كأبى العلاء ، ولا لنزعة اجتماعية أو مثالية ولكن لأوهام يستسلم لها ، وخيالات تستبد به :

ان بالمرء جنونا جاعـــــلا نوبة للشر فيه تحتـــــدم
لا ينال البرء من نوبتــــه أو يذيع الشر منه والألم
هل لنا من كوكب ذى مرة تصدع الأرض اذا ما يصطدم
(٢٢٩)

غير أننا لا نعدم بين هذه القصائد ومضات من عبقرية الشاعر ، ونفاذ فكره ، كما يقول مثلا عن الحظ :

أنت سحر يكسو القبيح جمالا وينيل الوضيع أفق العـــلاء

وينيل القميء أجنحة النسر بخشوع وذلة ورياء
يرتجي الناس غيثها وعلاها فيغدو لقومه كسماء

(٦٠٣)

ويقول فى تعرية المظاهر الكاذبة :

كم تحت مئزر ذات الخدر من دنس
وفى ابتذال ذوات العهر من خفر

(١٧٥)

وهي نظرات تتصل بفكرته عن الناس ، وخواء يده من فضائلهم ، وشكه في حاضرهم ومستقبلهم على السواء ، كما يقول :

وكيف أرى فى مستقبل الدهر للورى
علاء ومحيي يجمع الخلق والفهما
اذا كان صدق الناس كذبا وفضلهم
رياء وود منهم الغدر والسما

(٦١٩)

أو كما يقول ـ وذلك من ومضاته النافذة ـ عن أهمية الأمل فى حياة كل انسان ، وأنه وقود الحياة ، وضرورة استمرارها ، وخلو النفس من أمنية ما ، أو مثل أعلى تتوق اليه ، واحساس غامض بالمطلق ·· يدع الانسان جسدا لا حياة فيه ، ولا رجاء من وجوده :

والشـــقى المحـــروم من لا يرى فى
العيش فرضـا ينأى به عن شـــقاء
ذاك من مات قلبـــه وهـــو حى
وغدت نفســـه كقفر خـلاء
خاصمته النعمـــاء فى كل أمر
وبدت فيه وحشـــة البيـداء
خيبة المرء أن يمـــل منـــاه
لا تمادى الحـــرمان والابطـــاء
(٦٠٥)

أو نرى لديه ذلك الاحساس الأليم بمرور الزمن ، حين يقول :

نحن نبكى كل ميت راحل
كيف لا نأسى على يوم مضــــى

وحين يخاطب اليوم المنصرم بقوله :

رحـــم أنت لما تـأتى به
أم ضريح للذى مر بنـا
(٢١)

الى غير ذلك من الفلذات الشعرية ، وهى غير قليلة ٠

ب ـ فى النسيج الشعرى العام :

خلصنا فيما سـبق الى رصد الظواهر النفسية ، والملامح الاجتماعية التى تسود ذلك القدر من شعر شكرى

الذى سنطرحه من اختيارنا ، والآن نشير الى بعض مظاهر النسيج الشعرى لهذه القصائد :

١ ـ المعجم الشعرى :

لم يكن شكرى من أصحاب المعاجم الشعرية ، فلم تكن لديه عنا قيد من الصور والمفردات اللغوية ـ ذات الدلالة الجمالية والنفسية ـ يستخدمها على وجه خاص ، وتثرى لغة الشعر العامة ، ولم يكن لديه ذلك الاحساس المرهف بموسيقى الكلمات ،وظلالها النفسية والاجتماعية .. ولذلك نرى أنه لم يضـف جديدا الى لغة الشعر العربى ، شأن كبـار الشعراء فى كل لغة ، وكانت حساسيته نحو اللغة حساسية معجمية ، لا حساسية نابعة من حياة اللغـة على الألسن ، وامتدادها فى وجدان القراء ، بل من معرفته بمعناها فى القاموس ، لذلك نرى كثيرا من الكلمـات القاموسية فى شـعره موضـوعة وضعا لغويا ، لا وضعا شعريا ، فهى بعيدة من الايماء الفنى ، بل كان من الممكن تفاديها ، واستخدام كلمات أخرى أكثر توصيلا للاحساس والفكرة من تلك الكلمات الميتة ، وقد يقال ان على الشاعر وخصوصا فى فترات البعث القومى ، ان يحيى الكثير من كلمات اللغة ، ولقد فعل شوقى ذلك ـ على سبيل المثال ـ ولكنه وضعها فى سياق شعرى آسر ، وبذلك وهب لهـا ميلادا شرعيا جديدا ، أما شكرى فقد حملها فى شعره بين

أكفانها ، فظلت بعيـدة عن الايماء الشعرى .. من تلك الكلمات :

** سدك : ومعناها لزم واستخدمها فى قوله (٢٠٥)
سدكت بنابليون سالبة الكرى
والنوم لا يعنو لكل عظيـم

** التوقل : وهو العلو والارتفاع . (١٧٩)
أهاب بباغى المجد كبر مضلل
وما الكبر الا داء من يتوقـل

** الاقليد : ما يفتح به الباب . (١٨٢)
ثم أهـوى الى الرتاج فأجرا
ه قليـلا بهـزة الاقليد

** أدوف : أمزج (١٨٣)
قالت : اهدأ .. دعنى أدوف له السم
وأبغى غفـران رب غفـور

** الشحشحان : القوى الشجاع (١١٩)
لخيلت نجوم السـعد والحب والمنى
فحن اليها الشحشـحان المغامر

** أليل الليل : ما يتخيله المرء من الانين فى سكونه التام (٢١٥)

** المصمئلات : المصائب : (٥١٢)

** النسبروت : المحتاج . (٥١٦)

•• طخيان : مظلم • (٥١١)

•• نهاء ونهى : الغدير (٥١٣ ، ٤٥٠)

•• الوغم : الحقد الثابت فى النفس • (٤٥٩)

•• سينع : من سنع حسن وطال • (٤٨٨)

•• الغيطل : الظلمة المتراكمة (٤٤٣)

•• الدقعاء : الأرض (٥١٣)

•• بل يستدرجه هذا النهج الى استخدام ألفاظ لا يطاق سماعها فى عصرنا ، ولا تلائم السياق الشعرى المحشوة فيه ، بل تناقضه معنويا ، كاستخدامه كلمة كلحبة فى وصف القبل (٤٨٥)

قبل صوتها ككلحبة النيران

فى يابس الغضا والاضاء

•• ويستخدم الصيغ المهجورة كاستخدام صميت والصمات مبالغة من الصمت (٤٩٠ ، ٥١٦)

كما يستخدم المرادفات الميتة كقوله التوراب بدلا من التراب (٤٥٠) •

وهذا يدل على حساسيته المعجمية باللغة •

٢ ـ وظيفة التشبيه :

كان أبو تمام يكثر من تشبيه المحسوس بالمعنوى ، ولم يكن هو من اخترع ذلك فى اللغة العربية ، بل هو الذى

أكثر منه ، وخرج به عن سواء الصدق الفنى ، ولقد تأثر به شكرى فى بعض الاحيان ، فندت عنه تشبيهات مفتعلة كقوله :

تجلى بصفحة مائــــه	صور الربيع الأخضر
فكأن فــــوق الماء	ما صنعته كف مصور
وكأن صــورة درهــم	سكنت بخاطر معسر

(٣٧)

وقد كان شاعرنا من أوائل من تنبهوا الى وظيفــة التشبيه فقال فى مقدمة ديوانه الخامس ـ الخطرات ـ الصادر فى عام ١٩١٦ :

« ومثل الشاعر الذى يرمى التشبيهات على صحيفته من غير حساب ، مثل الرسام الذى تغره مظاهر الالوان فيملأ بها رسمه من غير حساب ، وليس الخيال مقصــورا على التشبيه . فانه يشمل روح القصيدة وموضوعهــا وخواطرها ، ولا يراد التشبيه لذاته ، وانما يطلب لعلاقة الشيء الموصوف بالنفس البشرية وعقل الانسان »(٣٦٣)

وللعقاد حديث طويل ومشهور فى « الديوان » عن التشبيه ، وفيه يقول : « انما ابتدع التشبيه لنقــل الشعور من نفس الى نفس ، وبقوة الشعور ، وتيقظه ، وعمقه ، واتساع مداه الى صميم الاشياء ، يمتاز الشاعر على سواه » .

غير أن بعض التشبيهات عند شكرى لا تسير على هدى من هذه الفلسفة الرشيدة ، ولكنه يتحول الى تقليد ، أو اختراع غير موفق ·· وربما كان هذا فى مراحله الاولى ·· بيد أنه يحسن أن نشير الى بعض هذه التشبيهات :

عمى الدجى عن مطلع الفجر
فى ليلة كسريرة الدهر
ولع البكاء بناظرى كما
ولع الندى ببدائع الزهر

ونعنى التشبيه فى البيت الثانى ، فهو يسير على ذلك النسق الممجوج من تراثنا الشعرى ، حيث لا ينبثق التشبيه من اللحظة النفسية ، ويكون انعكاسا للتجربة الشعرية ، يخدم السياق العام للقصيدة وينميه ، بل يأتى هنا لمجرد أن وجه شبه ما يقرب بين المشبه والمشبه به ، وجه ما فى الشكل أو فى اللون أو فى الحركة ، أما أن يكون الجامع النفسى ضروريا ، فذلك ما لم يخطر على بال بعض شعرائنا القدامى ·

وصورة المشبه به هنا تقع فى جو لا يتناسب مع السياق العام ، فهى زاهية اللون وهو ليل أعمى ، وهى مفترة الثغر ، ندية ببشائر الحياة ، وهو روض ممتنع الرقاد ، وقلب حزين باكى الطرف ·· ومن هنا يقع

التناقض بين الصورة الشعرية ، وبين المســـار العام للقصيدة .

ويقول شكرى :

وكأن الشمس تجـــلى في خمار من لهيب
أقبلت في الأفــق تسعى مثل اقبال الحبيب

وما أظن أحدا منا يرحب بعناق هذه الحبيبة الملتهبــة الحارقة ، ويقول :

والبحر لا تحـــده الا بطول الأبـــد
كأنـــه ذو دولة مكلل بالزبـــد
كأنه ذو مهجـــة موسومة بالحســد

فما أبعد ما توحيه الصورة الاولى والثانية من الجمال والكمال ، عما توحيه الصورة الثالثة من الضعة والهوان ، وما تبعثه الصورتان الاوليان من الاحساس بالعظمة ، عما تبعثه الاخيرة من الاحساس بالازدراء .

هنا ـ في مثل هذه التشبيهات ـ نفتقد الجامع النفسى الذى نفتقده فى بعض شعرنا القديم ، ألم يقـــل المتنبى ـ متجردا من كل احساس انسانى ـ عن ممدوحيه :

قوما اذا أمطرت موتا ســـيوفهم
حسبتها سحبا جادت على البـــلد

وألم يقل آخر – فى كذب وادعاء ـ يصف مصلوبا :

كأنه عاشق قد مد صفحته

يوم الوداع الى توديع مرتحل

أو قائم من نعاس فيه لوثته

مواصل لتمطيه من الكسل

على أن ذلك ـ والحمد لله ـ لم يكن دأب شكرى فى شعره •• ولكنه ظاهرة فى بعض ذلك الشعر •

٣ ـ اشارات ميثولوجية :

أشار الكثيرون ومنهم العقاد الى رحابة ثقافة شاعرنا وقد تسللت من هذه الثقافة الى شعره مجموعة من الاشارات الميثولوجية والتاريخية والادبية ، منها قصيدته عن «النعمان ويوم بؤسه » (١٤٢) و « كسرى والاسيرة » (١٩) •

وقوله من قصيدته « امرأة تكلم بعلها » (١٤١) :

فى كل لحظ عطيل ثار ثائره

وكل خطرة فكر رجع وسنواس

وقوله (١٧٠) :

ويا ليت أنى مثل زوس مسيطر

على الرعد أن أغضب كذا الرعد يغضب

وقوله (١٧٨) :

جاء الخيال مضيئا فى الدجى مرحا
فكيف يصـــدق ما غالى به مـــانى

وقوله مخاطبا أبا الهول (٤١٣) :

يامن سؤال العيش فى صمته
اســـأل ومـــن لم يـجب يقتل

وفى قصيدة أخرى (٤٥٧) :

فمن لى بنفس فى الشـــقاء نعيمها
كأنى فى نار الشـــقاء ســـمندل

وتضمينه بيتا لجيتى الشـــاعر الألمانى فى قوله (٤٩١) :

ليســـس آلا كمـــا يقـــول ركين
لايفيت الصـــــواب منـــه مفيت
فوقنا الأنجم الصـــوامت لاتدرى
وتحت الرجـــام صـــم ســـكوت

• • وواضحة اشارته الى عطيل شكسبير ، وزيوس رب أرباب الأولمب ، ومانى رأس المانوية ، وهى نحلة فارسية تقول باله للنور ، وهـــو اله الخير ، واله للظلام ، وهـــو اله الشر ، ودوام الصراع بينهما ، والى ما جاء فى أسطورة أوديب عن أبى الهول ، وسؤاله لكل من يمر به ، من الكائن الذى يمشى على أربع ، ثم على اثنتين ثم على ثلاث • • وحل اللغز أن ذلك الكائن هو الانسان ؛ لأنه يحبو على أربع ، ثم

يشب فيمشى على اثنتين ، ثم يستعين فى شيخوخة بعصاه فيدب على ثلاث ، ثم اشــارته فى البيت الأخير الى الدابة التى تسمى أسطوريا (السمندل) وقد جاء فى الأساطير العربية عنها أنها لا تحترق بالنار •

••• غير أن حظ هذه الاشارات الميثولوجية والثقافية والتاريخية كان قليلا فىشعره ، وكذلك استقاؤه من أحداث التاريخ كقصائده عن نابليون، وقد كانت ثقافته أوسع بكثير من هذه الاشارات القليلة ، التى تنمو عند بعض الشعراء الى وجهة نظر كاملة فى الانسان وفى الكون من خـــلال ابتعاث التاريخ أو استلهام قصصه وأساطيره •

على أن روح الميثولوجيا لم تستطع أن تسرى فى شعره ولا شعر زميليه العقاد والمازنى ، لأنهم لم يكونوا من أصحاب الخيال المجنح الخلاق والعاطفة العميقة المتغلغلة فى مظاهـــر الوجود ، بقدر ما كانوا أصحاب نظر وجدل واستبصـــار بالفكر لا بالخيال •

٤ ـ فى الأوزان والقوافى :

حاول شاعرنا أن ينوع فى نظام التقفيه بالقصـــيدة العربية •• متأثرا بالموشحات حينا ، وبالشعر الانجليزى حينا آخر •• فكان له من هذا :

١ـ القصيدة ذات القوافى المتقابلة •• على نحو ما نرى فى قصيدته « أم اسبرطية » (١٧٦) ومنها :

فر يبغى من الحمام مجيرا
فأعان الردى عليه المجير

بادرته بحتفه أمه وهو
على عاره اليها حبيب

ولو ان النذير أوحى اليها
وهو فى المهد أنه سيخور

لرمته بجانب الجبل الشا
مخ لم تنتزح عليه الغروب

٢ ـ الشعر المرسل : وهو المحرر من قافية واحدة تلتزم بها القصيدة ، فلكل بيت قافيته المغايرة لما قبلها وما بعدها ، ومن ذلك قصائده : واقعة أبى قير : ٢٠٣ ـ نابليون والساحر المصرى : ٢٠٥ ـ عتاب الملك حجر لابنه امرىء القيس : ٢٠١ ، ومنها :

تريق دنان الخمر جبنا وخسة
ولو قد أرقت الماء كنت ظلوما

فان دماء الثائرين كثيرة
وهذى السيوف الباترات صوادى

٣ ـ شعر المقطوعات .

٤ ـ المزدوج والمخمس

وكل هذه التغييرات فى شكل القصيدة مما مهـــد للتغيير الكبير الذى أحدثته حركة الشعر الحر ، غير أن تأثير عبد الرحمن شكرى فى هذا المجال كان ضئيلا ، لأن التأثير الاكبر نبع من مطران ومدرسة المهجر ومدرسة أبوللو ٠٠ بل ان اختراعه الذى أكثر منه ، وهو الشعر المرســـل وله بذور قليلة فى التراث الشعرى ـ لم يستسغه أحد من الشعراء ، وفرق منه زميلاه العقاد والمازنى ، واعترف العقاد أخيرا بان الذوق العربى ينفر منه ٠

بيد أن معظم قصائد عبدالرحمن شكرى قد جاء على الشـــكل الموروث وهى القصيدة الموحدة القافية ، ولــكن ما حاوله من تجديد يظل ـ مع ذلك ـ غير منكور ٠

ج ـ فى مبنى القصيدة :

الشعر العربى ـ بعامة ـ شعر غنائى ؛ يعنى بالخاطرة الفكرية ، ويصور فى الاعم الاغلب اتقاد الاحساس ٠٠ وقل أن نجد فيه نسيجا حكائيا ٠ فاذا ما طالعنا قصائد ابن أبى ربيعة وحكاية مغامراته الليلية ، ولقاءاته الجسور بجميلات عصره حول ينابيع الماء ، أو فى أوان الطواف حول الكعبة فى مواسم الحج ٠ أو طالعنا المقطوعات الغزلية الجاهلية عند امرىء القيس والمنخل اليشكرى وأضرابهما فى العصر الجاهلى سابقين على ابن أبى ربيعة الفارس المجلى فى هذه الحلبة بلا نزاع ، وقفنا على أطراف من القصص الشعرى لا يصل فى

خصائصه الى ما نعرفه اليوم عن فن « القصة » بعد أن تطور هذا الفن ، وأصبحت له خصائصه المميزة ، وبعد أن تأثر به شعرنا ، فأصبحت « القصة الشعرية » ملمحا هاما من ملامح الاضافة الشعرية لدى المدارس المعاصرة •

ولقد كان عبد الرحمن شكرى من أوائل الذين اتبعوا هذا النهج الجديد فى طائفة من شعره ، فاعتمد بناء القصيدة عنده أحيانا على ما استقاه من طرائق الفن القصصى ؛ متأثرا بثقافته الواسعة التى تفتح لها لغته الانجليزية أوسع الأبواب •

وفى ديوانه الضخم سوف نجد كثيرا من الخواطر الفكرية المرسلة ، وكثيراً من الشحنات الانفعالية المتدفقة بجانب كثير من محاولة التقاط حركة الحياة ، ورصد أحداث الواقع الانسانى ، فقد كانت شخصية نابليون ـ على سبيل المثال ـ من الشخصيات الباهرة لمثقفى القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، وعندما اقترب منها عبد الرحمن شكرى بشعره وجدناه يدخلها فى قصائده ضمن اطار من الاحداث والوقائع •

ففى قصيدته « نابليون والساحر المصرى » ـ (٢٠٥) يقص ما قيل من أن عرافا مصريا كشف لنابليون عن نهايته وكأنه كان يقرأ سفر الغيب مفتوحا أمام عينيه ، وقد مهد لهذه الحادثة بتصوير نابليون متفردا فى

الصحراء ، متطلعا الى الآفاق ، متفرسا فيما يخبئه الزمان

يمشى وحيدا فى الخلاء وحوله
جيش من الآراء والعزمات

حتى التقى بذلك العراف :

النار من ألحاظه مقدوحة
حتى تكاد تشب فيما تنظر

فى كفه عود ضئيل ، صوته
شكوى المريض الى الصديق العائد

يستخرج الالحان من أضلاعه
والعود فى تحنانه يتألم

يبكى فيهتاج الرياح بكاؤه
فكأنما ضمت قلوبا ترحم

لما رأى الجبار يمشى قربه
والليل يسجد فى غلالة راهب

رفع الغناء ومر فى انشاده
مر النسيم على الربوع الخالية

يا أيها البطل العظيم الغالب
أرح الخطى واسمع نبوءة ساحر

ومثل هذا التشويق المتقن يصطنعه شكرى فى قصائد كثيرة بديوانه الحافل • وسوف نقف وقفة متأنية عند هذا الملمح فيما يلى ، عندما نعرض خصائص القصائد المختارة ، الا أننا هنا أحببنا أن نشير فحسب اليه ضمن خصائص شعره العامة •

القصائد المختارة

أشرنا الى أن ديوان شكرى كان ضخما ، وانتاجه فى مدى السنوات العشر (١٩٠٩ - ١٩١٩) كان غزيرا ، ربما بأكثر مما أنتجه شعراء آخرون مكثرون مدى حياتهم ٠

ولقد كان شكرى معتدا بكل كلمة يكتبهـا ، ويظن أنها وحى يوحى ، ويرمى بالتهم كل من يرفع اصبعا ؛ ولكننا هنا نرفع أكثر من أصبع ، ونطرح الكثير من هذا الشـعر ، ونستملح القليل منه ٠٠ مع تقـديرنا لهذا الشاعر ، ومأساة حياته ، ووضعه فى الفترة التاريخية التى أنشد فيها شعره ٠٠

وسبب اختلافنا مع الشاعر ، أننـا نختلف معه فى تفهم عملية الابداع الشعرى ؛ فالشاعر يصدر عن انفعال ملتهب فى كثير من قصائده ، ويدافع عن ذلك المنهج فى مقدمة ديوانه « أناشيد الصبا » حين يقول :

« لا ينظم الشـاعر الـكبير الا فى نوبات انفعال عصـبى ، فى أثنائها تغلى أسـاليب الشـعر فى ذهنه ،

وتتضارب العواطف في قلبه ، ولكن تضاربا لا يزعج
نبضه طيور الأنغام الشعرية التي تغرد في ذهنه . ثم
تتدفق الأساليب الشعرية كالسيل من غير تعمد لبعضها
دون بعضها ، أما في غير هذه النوبات فالشعر الذى
يصنعه يأتي فاتر العاطفة ، قليل الطلاوة والتأثير .
وادمان الاطلاع أساس في الشعر ، لأنه هو الذى يهيىء
الطبع ، أما انتقاء الأساليب عند النظم ، فدليل على أن
الشاعر غير متهيىء الطبع ناضبه ؛ ليس في أعصابه نغمة؛
ولا في قلبه عاطفة » .

(٢١٠)

ولكننا نعتبر الشعر الجيد وليد لحظة التذكر ،
لا لحظة الانفعال ، فالانفعال لا ينتج الا عواطف هوجاء ،
وفكرا مضطربا ، وأساليب مباشرة ..

وليس وراء الغضب ـ مثلا ـ الا السباب والمهاترة
وما هكذا الفن .. وهذا هو السبب في ضعف الأشعار
التي تقال في فورات الهياج الوطني والقومي .. أين الشعر
الذى تخلف عن معركة بورسعيد ـ مثلا ـ لقد صدر شعر
كثير ، ومات للحظته ، انه وليد الانفعال والغضب ،
والشعور بالضيق ، والهياج العصبي .. ولذلك انتهى ،
وأصبحت المسافه بينه وبين الفن الحقيقي مسافة
شاسعة ..

الشاعر يمر بتجربة ككل انسان .. ثم بعد مرور

وقت ما .. يستعيدها فى نفسه ، يلم بجوانبها ، يستبطن ملامحها وتفاصيلها ، يدقق النظر فى أبعادها ، فيما بينها وبين شتى تجاربه الذاتية ، وتجاربه الاجتماعية ، وفكره ، من صلات ، وفى هذه الاستعادة الواعية ،يتولد فى نفسه الشكل المناسب لأدائها ، صورا وملامح وبعادا ، وهو بعقلية الخالق ، بفكره الفنى ، بشعوره العميق بتجربته - هذه المرة - يشكل من تلك الصور والملامح و لتفاصيل الكثيرة كيانا كليا للتجربة.. وهو فى أثناء ذلك فى مفاوضة دائمة ، وفى صراع محتدم ، فليست كل التفاصيل تتناسب مع أدائه الفنى ، وليست كل الصور بمناسبة لتوصيل تجربته الى المتلقى . وفى كل شعر جيد يحدث انتقاء ، فالشعر هو - أولا - فن التأمل ، لا فن الانفعال ، وفن الكلمة المستعصية ، الكلمة المتكبرة ، لا الكلمة المتاحة فى كل وقت ، والمتدفقة كالسيل .

وهذه اللهجة التى كان يصطنعها شكرى والعقاد فى الحديث تحت ستار الشاعر الكبير لهجة ضارة بالفكر النقدى ، لأنهم من وراء ذلك كانوا يقدسون نفوسهم ، ويحرقون البخور لذواتهم ، ويضعون الأحجار فى كل طريق ..

ولعل عبد الرحمن شكرى قد أحس بأن الشعر

ليس وليد النوبة العصبية ، في ديوانه الرابع ، وان يكن على نحو من الغموض والايجاز ، حين قال :

« وكما أن العاطفة تنطق الشاعر ، كذلك قد تخرسه شدتها ، ومن أجل ذلك كانت ذكرى العاطفة والتفكير فيها شعرا ، وانما نعنى الذكرى التى تعيد العاطفة ، والفكر الذى يحييها » .

(٢٨٨)

وهنا نعود الى الذكرى التى تعيد العاطفة ، والفكر الذى يحييها ، لنقول ان هذا الاسترجاع للتجربة النفسية، ومحاولة تركيبها فنيا ، بما فى ذلك من عمليات طرح وانتقاء ، فى التجربة ذاتها ، وفى الوسائط الفنية التى اهتدى الشاعر اليها .. تحتاج من الشاعر الى وقت ، الى تريث وتأمل وتفكير هادىء ، وبعد عن ضجة التجربة الى سكون الابداع .

ومن هنا يقل انتاج الشاعر المجيد ، مهما كان خصبا ، وزاخر الحياة بالتجارب .. كما لا تستطيع امرأة ولود أن تعطى وليدها فى شهرين أو ثلاثة .. كذلك لا يستطيع الشاعر الا أن ينضج تجاربه على مهل .

ولكن شاعرنا كان لا يرى مظهرا من مظاهر الطبيعة أو ملمحا من ملامح السلوك الانسانى ، أو هاجسا نفسيا، أو خاطرة فكرية .. الا بادر بقول الشعر .

ولذلك كانت قليلة في شعره التجارب التى نضجت على مهل ، وأعطى فيها فنا وفكرا يستحق التقدير ؛ ومن هذه التجارب قصائده التالية :

كسرى والأسيرة ـ وصف البحر ـ معان لا يدركها التعبير ـ ربما ـ عيون الندى ـ غلام مريض يكلم أمه ـ الجمال المنشود ـ الى المجهول ـ خطوة عن عالم الحس ـ عصفور الجنة ـ الحسن مرآة الطبيعة ـ حكمة التجارب كلمات النفس ـ خميلة الحب ـ الصحراء ـ الغابة ـ الباحث الأزلى ـ ليتنى كنت الها ـ الشاعر وصورة الكمال ـ الصنع والكسب ـ قوة الفكر (١) .

وهذه القصائد تكون فى حجمها ديوانا ربما يكون أضخم من ديوان الشاعر ميخائيل نعيمة «همس الجفون» ؛ ونحن نعرف حظوة هذا الديوان عند قارئيه ، وكيف أولاه النقاد من عنايتهم ، وبه استحق نعيمة أن يكون من رواد شعرنا الحديث ..

---

(١) الصفحات على التوالى : ١٩ ، ١١٩ ، ١٢١ ، ١٣١ ، ١٣٤ ، ١٢٢ ، ٣٢١ ، ٣٠٦ ؛ ٤١٩ ؛ ٢٦٦ ؛ ٢١٦ ؛ ٢١٤ ؛ ١٨٤ ؛ ٣٨٨ ؛ ٥٩٧ ؛ ٦٢١ ، ٢٩٢ ، ١٢٤ ، ١٣٠ ، ٣٧٤ ، ٣٧٩ ..

دراسة فى المختارات

أ ـ فى الصورة والبناء :

١ ـ وهذه القصائد من ناحية الهيكل البنائى تتبع نسقين :

الأول : النسق الذاتى ...

وهو ما يعبر فيه الشاعر عن ذاته مباشرة ، فالقصيدة هى صوته هو ، وهى مشاعره المضطردة ، وخواطره المتدفقة ، وهو المتحكم فى مسارها ، والصانع لبدايتها ونهايتها وتطورها الداخلى ..

يتضح ذلك فى قصيدته ، وصف البحر ، .. انه يواجه البحر بنفس زاخرة بالاحساس ، ان البحر يمتد ويصخب فى نفس الشاعر ، وهو يراوح بين الوصف والتأمل ، ويرصد تجربته من الخارج الواقعى حينا ومن الاحساس الداخلى حينا آخر ، ويعرض علينا ذاتا انسانية تحس بأغوارها البعيدة ، وكنوزها الباطنة ، وتتمنى أن لو كانت قد خلقت على هيئة البحر ، ذلك الذى يتسع لما تجيش به عوالمه من كائنات واسرار :

ألا ليتني بحر كلجك زاخـــر
أعب كما تهوى النهى والبصائر
فكم عبت النفس اللجوج وحاولت
كبعض سطاك الابيات النوافر
فأخفت من الدر النفوس ومن حلى
كما اختبأت فيك اللهى والذخائر
كأن بها أفقا كأفقك نائيـــا
ومن دونه كل المـــدى يتقاصر

..

ثم يتحدث عن الشئون الخاصة بالبحر ، ويعقــد مقارنات مع ما يماثله فى نفسه وفى فكره ، كأنه يتحدث عن صديق أثير :

خريرك يحكى صدحة الدهر صامتا
كأنك دهر بالحـــوادث مائر
هو الدهر لا يخشى المنايا ، ولا يهى
صباه ، ولا تقضى عليه المقـــادر
وأنت شبيه الدهر .. لا أنت هارم
ولا أنت منقوص ، ولا أنت خاسر
ويصطخب الأذى فيك كأنما
اصطخابك من حكم المنية ســاخر

وتشف هذه الخواطر والمشاعر التى تدور حول البحر عما يعنى الشاعر من مشكلات ، وما يمور فى نفســـه

من هموم .. فهو ممتلىء النفس بذخائر الفكر والفن، وهو واقف وقفة العجز والتأمل أمام المطلق ، وأمام الحياة والموت والخلود ، وهو مستخرج من ظواهر مده وجزره بعض العبر التى تبسط دائرتها على حياة الشاعر ،وتبعث الى نفسه الكليمة بالتأساء :

تنـــاءت بك الأمواج وهى نوافر
وجاءت بك الأمـــواج وهى ثوائر
كأن بها عجز المشيب اذا انثنت
وعـــزم الشباب الغر وهى بوادر
فنم نومة الظل البطىء مســيره
وثب وثبة الغضبان حين يساور
فيارب حلم خامل البطش هادىء
ضمنت وجهل شره متطـــاير

الى آخر ما فى القصيدة من لفتات ذهنية ، وتأملات نفسية ، وهموم اجتماعية .. تومى بها القصيدة،وتعرضها من خلال أسلوب يتوتر أحيانا ويمتلىء بالحركة والانفعال وكأن القارىء فى خضم هذا البحر ، وبين فوائر أمواجه حينا ، وأمام جبروته الخالد ، ولانهـائيته المثـيرة ، متأملا مستعبرا ، حينا آخر .

ومثل هذه القصائد تبقى فى اطار كلى ، وتتحقق بها الوحدة العضوية ، ما دام كل بيت فيها يعيش فى وهج

التجربة • وليست بهـا نتوءات نفسية أو فنية ، فليس هناك صنعة بديعية قصدت لذاتها •• تعوق نمو التجربة وتنحرف بنفسية القارىء عن وهج التجـــربة ، وبؤرة اشعاعها ، وليس هناك تشتت فى التجربة أو تزيد فى الفكر أو الخيال •

الوحدة العضوية هنا مرهونة بصدق الشاعر ،وعمق تجربته ، وجودة أدائه ، وهى تشع فى القصيدة ،وتسرى فى أطرافها •

وهى ــ الوحدة العضوية ــ فى مثل هذا النسق الذاتى من الشعر • فرض نقدى ، يحس ولا يلمس ، ويتلمس فى بواطن القصـــيدة ، ولا يعثر عليه فى شكلهـــا الخارجى •

وهذا النسق الفنى يتضح فى قصائد :

وصف البحر ــ معان لا يدركها التعبير ــ الجمـال المنشود ــ الى المجهول ــ خطوة عن عالم الحس ــ عصفور الجنة ــ الحسن مرآة الطبيعة ــ حكمة التجارب ــ كلمات النفس ــ خميلة الحب ــ عيون الندى ــ ربمـــا ــ الصحراء ــ الغابة •

الثانى : النسق الموضوعى :

فالقصيدة هنا ليست صوت الشاعر ، وليســت غنائية روحه المتدفقة بأشجانه وأفكاره ، انهـــا مخلوق

مستقل عن ذاته ، له حياته الخاصة ، وكيانه المتوحد ،وفيه تتحقق ـ ضرورة ـ ما نسميه في نقدنا الحديث بالوحدة العضوية ٠

وقد كان الشاعر من أوائل الذين كتبوا هذا اللون الشعرى ، سبقه مطران وسبقهما شبلى الملاط الشاعر اللبنانى التقليدى الطابع ، واشترك معهما غيرهما حتى شوقى فى حكاياته عن الحيوان ، وكان شاعرنا ، كما ورد فى عبارة دقيقة للعقاد ، قد « تسنى له أن ينظم الكثير من القصص العاطفية والاجتماعية قبل أن يشيع نظم القصص فى أدبنا الحديث » ٠

وقد رصد الاستاذ العوضى الوكيل فى كتابه « الشعر بين الجمود والتطور » هذه الظاهرة فى شعر مدرسة الديوان ، وأحصى لكل منهم مجموعة من قصائده القصصية ٠٠ ولذلك فان من الغريب أن يضع ناقد هذا الملمح فارقا بين مطران وبين مدرسة الديوان ، حين يقول الدكتور مندور : « نرى مدرسة الديوان تتميز عن مدرسة مطران من ناحية الذاتية والموضوعية ، فمطران رائد الشعر الموضوعى الحديث فى اللغة العربية ، وذلك بفضل روائع قصائده المطولة فى القصص الذى يمزج بين الوصف والدراما والتصوير ، بينما تجنح مدرسة الديوان نحو شعر الوجدان الذى تطغى عليه شخصية ٠٠ اعر ، وتلون

الموضوع كله بأحاسيسها الخاصة ، أو تستخدمه للتعبير عن آرائها الشخصية » ٠

فهنا يتماثل شعراء مدرسة الديوان مع مطران ، في وجود هذا النسق الشعرى الموضوعى فى دواوينهم ، ويتماثل مطران معهم فى وجود النسق الغنائى على كثرة فى ديوانه الكبير ذى الاجزاء الأربعة ، ويفوقهم مطران فى شعر الاخوانيات والمناسبات مما لا يتفق مع التجديد فى شيء ، فهو شعر موغل فى تقليديته ، موغل فى تنكره لفلسفة التجديد الشعرى ٠ وقد كان شكرى فى هذا الصدد أنقى أولئك الشعراء جميعا ٠٠ فقد خلا ديوانه من الزلفى ، ومن السير وراء الجنائز والتصفيق فى حفلات الزفاف ، وقدس مسئولية الفكر والاحساس والثقافة ، وقال عن الشاعر :

« لقد كان بالأمس نديم الملوك ، وحلية فى بيوت الامراء ، ولكنه اليوم رسول الطبيعة ، ترسله مزودا بالنغمات العذاب ، كي يصقل بها النفوس ويحركها ويزيدها نورا ونارا »

(٢٨٧)

أما ما ينضوى تحت النسق الموضوعى من مختاراتنا فهو القصائد :

الباحث الأزلى ـ غلام مريض يكلم أمه ـ ليتنى

كنت الها ـ الشاعر وصورة الكمال ـ الصنع والكسب ـ قوة الفكر ـ كسرى والأسيرة ..

ـ فى هذه القصائد ابتعد شكرى عن بساطة التكوين الفنى فى القصيدة الغنائية ، وعكف على تكوين شكل مركب ومعقد ، من جزئيات محسوبة على العمل الفنى ، فبها ينمو ، وبها تكتمل ملامحه فى نفس الملتقى ، وتبرز فيه مهارة الفكر والخيال لدى شاعرنا .. حيث يكتب القصة ذات النهاية المفتوحة ، وذات الايحاء البعيد المثير لخيال القارىء وذكائه ، كما فى قصته « كسرى والأسيرة » فقد أغار كسرى على بعض القبائل العربية ، وعاد وبين اسلابه بدوية جميلة ، وقد استكان العرب للعدوان ، رهبة من كسرى وجبروته، وأراد كسرى أن يلهو بالنصر، وأن يستمتع بالأسلاب ، وأن يعكف على تلك العربية الفاتنة .. فتأبت .. فبذل من وعوده ووعيده ما يخلب الألبـــاب ، فزادت صـــلابة وامتناعا ، فعرضها للهوان ، فأرسلت صيحة انتفضت على اثرها الصحراء :

« قيدونى ، غللونى ، ضربوا
موضع العفة منى بالعصا »
فأتاهم نبـــأ من قومهـــا
انهم عـــافوا لذاذات الكرى
أو تجول الحرب فى ميدانها
كمجال الطيش فىعهد الصبا

أو يكون السيف فى أعدائهم

معملا يودى بهسام وطـــلا

وينهى الشاعر قضـيته عند هذه الانتفاضة ، أما ماذا فعل العـــرب فى انتفاضتهم هذه ، فهذا ما يتركه شاعرنا لخيال القارىء ، مكتفيا بالايحاء فى تصوير هذه الانتفاضة الغاضبة بمسارها الى النصر ..

وفى قصـــائد أخرى من ذلك النوع القصصى ، يصل الشاعر الى تكوينات فنية أخرى ، والى مهارة فى التكنيك يعرفها الفن القصـصى .. فيســتغل توزيع اهتـــمامات القارىء على جوانب القصة بنسب معينة طبقا لمتطلبات الايحاء النفسى ، ويستخدم التقديم والتأخير ، وعنصر التشويق ، والمفاجأة ، ولحظة التنوير ، والمراوحة بين الرواية والحوار والتصوير .. الى غير ذلك مما نجده مبثوثا فى تلك القصائد .. حيث يتسع مجال الرؤية الشعرية ، وينفسح مجال الابداع ..

ولنضرب المثل بقصيدته «ليتنى كنت الها» ومحورها احساس الشاعر بفساد الكون ، ذلك الفساد الذى يتبدى أمام كثير من الفلاسفة والمفكرين عبر مراحل التاريخ ، أصيلا يتغلغل فى كيان الانسان ، ويسرى فى هشـيم حياته الاجتماعية ، بل يصعـــد به بعض الفلاســفة الى النظام الكونى ذاته ، حيث يرون أن الحياة قد وجدت بالصدفة ، وأن الكواكب معرضة دائما لاختلال قد يحدث

فجأة هنا أو هناك ، فيدمر الحياة على كوكبنا ، ويبدل العلاقات الكوكبية القـــائمة الآن والمعروفة لدينا بعض المعرفة الى علاقات جديدة لا علم لنا بها ـ فالكون عند هؤلاء تحكمه الصدفة ، والانسان منخور الداخل ، والاله غائبة حكمته عن الأذهان ·· انه ـ فى بعض الهواجس ـ لم يدبر الأمر جيدا ؛ ويستمر الهاجس بانسان ما من بنى البشر « آه لو كنت الها ·· لأعدت تنظيم الكون ، وتنظيم الحياة » ·· والشاعر منذ اللحظة الأولى يقول :

« المقصود من هذه القصـــيدة تحذير الناس من نسبة الصفات الانسانية الى ذات الله ، أو أن يقيســوا قدرة الله بقدرة الناس ، ويقصد أيضا السخر بالذين ينتقدون نظـام الكون ويزعمون انه لو وكل اليهم أمره لأصلحوه » ·

وهناك ثلاثة مواقف انسانية ازاء الكون والحيــاة بصورة عامة :

أولاها : موقف الرضاء التام ، والتســليم الكامل بما كان وما يكون ، دون الحاجة النفسية الى التساؤل ، أو القلق لما فى الحياة والكون من مظـاهر الاضطراب ·· وهذا موقف غريزى ، وسيرورة حيوانية فى الحياة ·· كما تسعى السوائم بغرائزها لا تسأل ولا تنتظر جوابا ·

ثانيها : الرضـــاء التام عن فلســفة واقتناع عقلى ووجدانى ، ينتهى الى تفهم خاص للكون ؛ فالكون أكبر

من الانسان ، وهو دليل قدرة وعناية ، والحياة تتكامل بنقائضها ، فالنور متصل بالظلام ، والخير متكامل بالشر ، والعدم مظهر للوجود ·· وهذا جماع موقف المتصوفة والمتدينين ، وهو يضرب بجذوره فى أديان الهند القديمة وعقائد الشرق الاولى ، كما يسرى فى تعاليم الأديان السماوية ·

ثالثها : موقف الشك والارتياب من طلسم الحياة ، وغلبة الشر ، وهوان الانسان ·· وهو موقف غاضب أحيانا على كل شيء ، ومتسائل دائما ، ومفترض طرقا للاصلاح ، واجاباب للتساؤلات ·· وهو موقف كثيرا ما يتخطى الواقع ، ومنه تنبع أحلام الثوار ، وتورق أشجار الفكر التقدمى ، ويتجاوز حدود ما هو كائن الى ما ينبغى أن يكون ·

والى هذا الموقف الأخير تنتمى قصيدتنا ؛ ولو أن الشاعر ـ مشدودا الى أمراس اجتماعية معينة يعرف ضراوتها من درس المرحلة التى قيلت فيها هذه القصيدة أوائل القرن العشرين ـ حاول أن يلحقها بموقف التدين الاجتماعى العام ، وجعلها نعيا بسيطا على الطموح البشرى الذى يريد أن يصعد الى أكثر من قدراته ·

فالشاعر منطلقا من الثورة على الفساد البشرى العام يتصور نفسه الها ليصلح الكون والحياة ·· وعندما يتم له هذا الحلم يبتدىء أعماله الالهية بالقضاء على

الشر ، واشاعة الحنان والرحمة بين البشر ، واعفائهم من أعمال العبادات حيث لا حاجة اليها ، ثم الحياة فى بحبوحة ومسرة واستمتاع مع رهط الملائكة الغر :

ليتنى كنت فى السماء الها
نافذ الأمر فى شئون الوجود

فاضم الوجود بين جناحى
وأسطو على الشقاء بجودى

ثم أحنو على الأنام كما يحنو
شفيق على الرضيع الوليد

ليس شرى عليهم بهتون
انما العدل آية المعبود

ان وعدى لديهم خير وعد
ووعيدى بالشر غير وعيد

ليس حكمى عليهم بشديد
وقيودى لديهم بقيود

وندامای فی الملائكة الغر
حسان من الظباء الغيد

مجدونى حتى عطفت عليهم
فاستراحوا من ضجة التمجيد

هم أجادوا المديح والنغم العذب ،
فأعفوا من ركعة وسجود

ويحيا الاله حياة مرحة ، فهو شخصية ضحوك ، يطل على عباده من ثقوب سمائه ، ويشاهدهم فى سرائر حياتهم ، ويستملح عرى نسائهم ، فيغرق فى الضحك هو وملائكته – وقد أصبحوا ندماءه ، وسمار ليله – ويحدث بضحكه جلجلة عظيمة تظنها النسوة المليحات العاريات رعدا :

كم بعثنا اللحاظ فى غسق الليل
ولحظ الاله غير شريد
فاذا الناس بين باك وضحا
ك، ومضنى من لوعة أو حقود
ورأينا فى مرقد الغادة الرو
د نساء حلين بالتجريد
فضحكنا حتى أفقنا من الضحك
وحتى حسبنه من رعودى

ثم استوى الاله على عرشه ، ومنح ذاته ومنح الحب معه الخلود – حلم الانسانية المفقود ، وتفجرت من ذاته مشاعر المحبة للجمال وللحياة ، فى نشيد عذب الايقاع ، رائع النبرة :

أنا والحب خالدان ، كلانا
ذو صيال ونشوة وجنود
هو تربى والكون طفل وليد
وسميرى ومسعدى وعقيدى

يا جمال الحياة من علم العشا
ق رشف اللمى ،ولثم النهود
يا جمال الحياة من علم الشا
عر وصف الهوى ، ونسج القصيد
يا ضياء الحياة من علم الرا
سم رسم الضحى ، وورد الخدود
يا ضياء الحيـاة من علم الصا
نع صنع الدمى الحسان الغيد

يستنيم الاله للهو ، وينشر غلالة من المحبة والحنان على جميع البشر ، فيستفيق الشر فى النفوس الآثمة ، وتستخف بهذا الاله الهين اللين ، وتصاعدت الى عرشه كلمات الهزء والاجتراء ، ثم طاف به طائف اليأس ، وثارت حوله الخلائق حتى عزلته ، وهبط الشاعر الى بشريته ، سافرا من هذا الحلم ، عائدا الى لسـانه الرهيف وبيانه الأخاذ ٠

أحسب أن عبقرية الشاعر ـ للحساسية الاجتماعية المعروفة نحو تجسيد الاله ، ومعاملته معاملة البشر ـ كانت أقل انطلاقا ، وأدعى الى أن يؤكد للقارىء أن الأمر لا يعدو هزل القول ، وأن هذا الطموح مخفق من أساسه ، فليس فى طوق انسان اصلاح الكون ، وعليه أن يرضى بموقعه من الحياة حيث يكون ، فالاله يعزل كما عزل السلطان

عبد الحميد ، وأى منا يمتطى صهوة جواد جامح قد يضيع عمره هباء ٠

وقد صور شاعرنا الاله تصويرا هازلا ، وصور العالم الآخر على غرار ما تصوره الميثولوجيا العربية ، حافلا بلذائذ الحس ، وصود نزلاءه على غرار ذوى الجاه والسلطان في بلادنا ، فهم فارغون للذائذ ، مهيضو الهمم عن السعى وراء عظائم الأمور ، حتى تستلين جانبهم الأحداث ، وتوردهم موارد التهلكة ٠

أحسب أن شاعرنا وقد كان على ثقافة عظيمة ، كان أكثر منا اطلاعا على الأدب اليونانى ــ مثلا ــ وكيف انطلق من نقطة الاله البشرى ، أو البشرى المؤله ــ وهى نقطة انطلاق شاعرنا ــ الى تأملات عميقة فى الخير والشر ، وفى بواطن النفس الانسانية ، وأسرار الطبيعة والكون ، وقد قصرت قصيدتنا هذه فى مثل تلك الجوانب ، وأحالت ذلك البشرى الطموح الذى ارتقى الى عرش الاله ، وجمع مصائر الكون بين يديه ٠٠ أحالة الى سلطان شرقى خائب، مهموم باللذة والفراغ ٠

قد نقول ان الشاعر يعتد بلذات الحياة ، لذة الشراب والاستمتاع بالجمال ، ويرى أنها لب الحياة ، وجوهر الوجود ، وأن اخفاق الاله فى الاستمرار بهذه الحياة ، هو نوع من ترصد الأقدار ــ حتى للآلهة ــ لكل ما فى الوجود من مسرات ٠٠

قد يكون هذا منطلقا فلسفيا جديرا بفكر شاعر كعبد الرحمن شكرى ، وثقافته الرفيعة ٠

هل هناك ثغرة فى التصوير الفنى فى قول شاعرنا :

عزلونى عن حكمها فكأنى
يوم ذاك السلطان عبد الحميد

فشبه الأعلى بالأدنى ، والحق الأقوى بالضعيف ـ كما كان يقول القدماء ـ وهو بذلك لا يخدم الغرض لفنى حيث يراد بالتشبيه فى مثل هذا المجال التقوية التوضيح ؟ ٠

قد يريد الشاعر أن يضع الهه المصطنع فى وضع هون شأنا من السلطان عبد الحميد ، جريا على ما أكده فى قصائد كثيرة من أن الكل باطل ، وأن الانسان هين الشأن حتى لو امتلك بأحلامه ناصية الكون ٠

قد يكون خيرا لنا أن نصغى أكثر من ذلك لوحى الشاعر ، وأن نفتح قلوبنا لعطاء كلماته ، وأن نرى أن لباب الحياة ـ فيما يرى الشاعر ـ هو المتع الراقية ـ الرفيعة ، وأن طبيعة الحياة حرية بأن تحرم الانسان من هذا المطلب البسيط حتى لو وصل الى مصاف الآلهة ٠

غير أن الذى يعنينا هنا هو اختيار الشاعر لهذا القالب الحكائى ، مصبوغا بهذه الصبغة الأسطورية ، موظفا

الجزئيات الصغيرة فى كيان كلى متكامل ٠٠ مازجا بين التصوير والدراما ، رامزا الى موقفه من قضية العلاقة بين الانسان والكون ، مارا بقضايا جزئية على أعظم جانب من الأهمية ، كقضية العبـــادات التى تعتبرها الأديان حجر الزاوية فى العلاقة بين الاله وبين البشر ، ومارا بقضايا الثواب والعقاب ، والصراع بين الخير والشر ، وبين القوة والحق ٠٠ الى آخر ما يمكن أن يوحى به هذا العمل الفنى الخصب ، من مشاعر وأفكار بجزئياته المتنامية ، وبشكله الموضوعى الموحد ٠

٢ ـ كلمة أخيرة عن اللبنة الجزئية عند شكرى ٠ انها ليست الصورة ، فليس العمل الشعرى عنده مجموعة من الصـــور المتآزرة على بنــاء يعطى بكامله صورة كلية للتجربة الشعرية ٠٠ طبقا لما يشيع فى تعريف القصيدة المعاصرة ٠٠ وقد اريق حبر كثير عن ســمات وخصائص الشعر الحديث ، وهو أنه يتكىء على التعبير بالصورة ٠ غير أن خلو شعر شاعر مجيد كعبد الرحمن شكرى وكثيرين من أمثاله من الاعتماد على الصورة هو ـ بحد ذاته ـ دليل فعلى على تجاوز هذا الرأى دائرة الحقيقة العلمية ٠٠ فها نحن أمام أعمال فنية لا نستطيع اخراجها من دائرة الشعر ، بل الشعر الجيد الذى نحبه ونؤثره وننفعل به ٠٠

ان شعر شكرى يعتمد على الفكرة الجزئية المتعانقة مع فكر أخرى ، والمتصاعدة بالعمل الفنى الى ذروته ٠٠

ان تآزر هذه الأفكار وتشابكها يصب فى نفس القارىء شحنة غير منكورة من الانفعال .. ذلك أنها فكر ملونة بلون الوجدان ، ونابعة من خفقات القلب ، ومصـــورة لاحساس الشاعر ، وتجربته النفسية : على نحو ما يقول !

اذا أنت لم تدر الربيع وسحره
ومن يلق مالا قيت ياقلب يسحر
ولم تسر ليل الصيف فى أخرياته
ولم تر صـــبحا كالغدير المفجر
وان أنت لم تهو النجوم وومضها
ولم تدر منهـــا مخبرا أى مخبر
ولم تلتمس فى كل شىء جمـاله
ولم تهو وجه الحسن فى كل منظر
فكن حـجرا لاحس فيـــه للامس
عديم الحجى ، ملقى بأكناف محجر

(٢١٨)

وهكذا نجـــد فى قصائده الجياد مجموعة من الفكر الجزئية، تتشابك وتتصاعد لتصب فى نفسك ذات الاحساس الذى مار فى نفس الشاعر .. وليكن مثالنا الأخير ـ على هذه الظاهرة ، لأهميتها ـ من قصيدته « الجبل » :

عليك اعتراك للعواصف رائـــع
وبرق ورعد طى ســـحب مواطر

وأنت وقور لم ترع من رعودهـا

ولم تتهيب دورة للدوائر

يغير مر الدهر حيا وهامدا

سواك فهل أوقفت خطو المقـادر

فيا ملكا برد الجليد كساؤه

ومن فوقه تاج النجوم الزواهر

تشـــاهد جيلا بعد جيل كأنما

تمر بك الأجيال مر العســاكر

ترى مولد الدولات ثم مماتهـــا

وتبصر مجـــد اليوم بعد الغوابر

خلطت بك النفس الطموح الى العلا

ومرأى جلال منك ملء الخواطر

(٦٠٨).

ولربما قيل ان هذه الأفكار الجزئية لبنات فى تكوين الصورة الشعرية ، وان تآزرها وتشـــابكها هو نحو من تأليفها ، وتجميع أجزائها ، وانها بهــذا ـ فى النهاية ٠ لا تخرج عن كونها صورة شعرية وان اختلف مصـــدر تكوينها ؛ فكما نرى لدى شاعر آخر أن الصور الشعرية تستقى عناصرها من الطبيعة أو من الحياة ، فما الذى يمنع أن يكون الفكر مصدر الصور الشعرية عند شكرى ٠٠

بهذا يسلم الرأى القائل : ان الشعر بنـاء صورى ٠٠ ونحن نعرضه على القارىء ليجيل فيه بصره وبصيرته ٠

(ب) فى التجارب والقضايا :

قلنا ان المضمون الرومانتيكى يمد جـذوره الى شعر عبد الرحمن شكرى ، وانه لا يبتعد كثيرا فى رهافة حسه، ومواقفه من الحب والطبيعة والمجتمـــع عن نظائره من رومانتيكيى القرن التـاسع عشر ، الذين أدمن قراءتهم ، ولعل ابن الرمى وأبا العلاء ـ وهما أكبر شاعرين تأثر بهما شكرى ـ لم يكونا بعيدين عن مواقف الرومانتيكيين ، ففى شعرهما تمرد على الحياة ، وسخط على المجتمع ، وضيق بالكون ، ومحاولات للثورة على الفكر السائد ، والمواضعات البالية ·· وفى ابن الرومى هذا النفور من الناس ، والخوف منهم خوفا يكاد يكون مرضيا ، مع نوازع الطيرة، وهواجس الظنون ·

ولكن شكرى ككل شاعر أصيل ·· يتميز بطابعـه الخاص ، ويترك بصمات نفسه وفكره على هذه المواقف ، فيحـاول ـ جاهدا ـ أن يسبر غور نفسه ، ويقف ذاهلا أمام المطلق ، ويعشق عشقا عميقا ورائعا كل مظاهر الطبيعة ويحب المرأة محبته لأفراح الحياة ، ولأسمى مافى الوجود من متع روحية ، ويمزج بينها وبين مظاهـــر النضـــارة والاشراق ، ويفكر فى هموم المجتمع ، ومأساة الحياة ··

وفيما يلى نلم ببعض هذه الملامح ، فقد تكتمل ـ بين يدينا ـ صورة الرجل وفنه ·

١ ـ في النفس الانسانية :

يعاني الشـــاعر من رهافة تجاربه النفسية ، وعمق احساسه بها ، وضـــآلة الأدوات التعبيرية التي تعجز عن اقتناصها ، فثمة مفارقة دائمة لدي شكري ـ كمانجدها لدى كثير من كبار الكتاب والشعراء ـ بين التجربة النفســية والتعبير الفني عن هذه التجربة ، على نحو ما يقول توفيق الحكيم في زهـــرة العمر : « ان مصيبتي هي عجزي عن اخراج مافي نفسي كما تصورته لأول مرة ، ان الفكرة لتتكون في نفسي ، وتنمـــو وتمتد وتتخـــذ شـــكلا منظما في رأسي ، بل انني لأنفق أياما في بناء الأشخاص في مخيلتي ، وترديد ما يقولون من كلام ، وما يتحاورون به من حوار ، ولا يبقى الا أن أمسـك بقلم لأضع على الورق هذه الحياة الزاخرة النـابضة فاذا ـ وا أسفاه ـ شيء بارد باهت ، كالجثمان الهامد ، هو الذي يخرج » .

وقد صور لنا شكري هذا الأسى المرير الذي يحس به الشاعر وهو يرى في نفسه معاني غائرة ، يحس بها على نحـو واضح ورائع ، ولكنها تند عن الخضوع للوسائط التعبيرية ، وصحيح أننا نفكر بالالفاظ وأن مالا نستطيع أن نعبر عنه لا وجود له في عالم الشعور ، ولكن اللاشعور في النفس الانســـانية أرحب مجالا ، وأعمق مدى من دائرة الشعور ، وهو زاخر بفيض من المشاعر والأحاسيس ، التي تطيف بالانســـان أحيانا ، ويحس مرورها في حنـــايا ذاته ، ولكنها تفر منه كالظلال الهاربة :

كم معان يود لو صاغها المر ء وحلى بها وجوه البيان
هي ملء الضمير لم يبلغ اللف ظ مداها ، ولم تذلها المبانى
للما رام أن يعبر عنهـا أنفت أن تنـال بالآذان
فهي عـذراء لا تحن لنـاء وهي عـذراء لا تلين لدانى

وشكرى يحاول أن يقرب لنا هذه المعانى حين يشبه وجودها فى النفس بحلول النفس فى البدن ٠٠ فالانسان ـ منذ الأزل ـ يستشعر أن له روحا ، وتقر الأديان ، وكثير من الفلسفات بوجود عالم الروح منفصلا عن عالم الجسد ٠٠ وترى أن الروح تحل فى الجسد عندما يتم خلقه ، وتفارقه عند الموت ، على نحو ما يقول ابن سينا فى قصيدته الشهيرة :

نزلت اليك من المحل الأرفع
ورقـاء ذات تـدلل وتمنع

واذا كنا فى فكرنا الحـديث ـ آخذين بمختلف وسائل الاستبصار العلمى ـ نتجه الآن الى البعد عن هذه الازدواجية فى تناول الذات الانسـانية ، بل فى تناول شتى الظواهر فى الحياة والكون ، ونرى وحدة الظاهرة المادية والمعنوية ، وأن المادة والروح ليسا نقيضين ، بـل مظهرين من مظاهر « الطـاقة » فحسب ، فان وسـائل التصوير البيانى ستظل فى حرية من التحدث عن الروح والجسد ، كما تتحدث عن وجيب القلب ، وجمال القمر ، على نحو ما يقول شكرى :

نزلت فى النفوس منزل صدق كنزول النفوس فى الأبدان
وتابت عن قانص الحق باللفظ ولو كان واسع التبيان
هى جزء من النفوس وهل تبدو نفوس لمدرك بالعيان
(١٢١)

ويبدو أن شكرى كان يرى ازدواجية الوجود الانسانى ، وأن الانسان جسد وروح ،أو نفس تحل بذلك الجسد ، وأن ذلك لم يأت هنا فى معرض التصوير البيانى فحسب ، لعلاقة المعانى الخفية بنفسية الشاعر ، بل صدر عن اعتقاد بحقيقته ، كما نجده واضحا فى شعر شاعر مهجرى معاصر لشكرى هو نسيب عريضة ، حيث امتلأ شعره بأحاديث انقسام ذاته الى جسد وروح وعقل ونفس ، وأقام حواريات بين هذه القوى المختلفة من قوى الانسان .. وكان يحس بتوزع ذاته فيما بينها ، وبتجاذبها لوجوده ، ويحار فى اختياره بين متناقضاتها .. أى قوة يختار ، وأى طريق يتبع .طريق العقل بقياسه الدقيق ، وتجرده الرياضى ، أم طريق العاطفة الجياشة ، والتفتح الرحب على الحياة ، أم طريق الجسد ، بلذائذه الحسية ، ورغابه الواضحة ، أم طريق الروح بتساميه وتنزهه ، واستعلائه على العقل والعاطفة والجسد جميعا .

وقد لفت أنظار النقاد تبكيت نسيب عريضة لنفسه، وتوبيخها على رغابها التى لا تنتهى، وطماحها الى مالا يملك، ولدى شاعرنا شكرى قصيدة على هذا النحو ، هى

قصيدته « سمو النفس » (ص٢٩٦) تذكرنا بكثير من شعر نسيب :

أهبت بحزمى فلم تسمعى وعفت الطماح فلم تردعى
فيانفس حتام هذا الطموح وخير المكاسب أن تقنعى
هممت بكسب فلم تبلغى ورمت الكمال فلم ينفع
وخفت المقادير فى ظلمها وأشقاك يانفس أن تخضعى

أليس هذا ما قاله نسيب عريضة :

حنانيك نفسى أطلت الأنينا رويدك! ويحك!كم تشتكينا
وكم تستغيثين ، ماتطلبينا؟ كفاك احتباطا ألا تتعبينا
أيا ثائره

أعيرى الحياة التفاتا قليلا وكونى اذا العيش أضحى ثقيلا
وأحيى بلطفك جسما عليلا وكونى اذا العيش أضحى
له ناصره

تظلين حائرة واجمه على العيش ثائرة ناقمة
فهلا صبرت الى الخاتمة فليست حياتك بالظالمة
ولا الجائرة (١)

وليس معنى هذا أن شكرى تأثر بنسيب ـ ومحاسبة النفس نزعة أصيلة عنده ـ فكل منهما يشكو لأواء نفسه ، ويعانى من نوازع الحيرة والقلق والتشوف الى المجهول .

واذا كانت لدي نسيب عريضة بخاصة ، من بين

(١) نسيب عريضة . «الارواح الحائرة» ص ١٠٤ .

شعرائنا المعاصرين جميعا ، قصائد خالدة فى الحوار بين قوى النفس ، ومحاسبتها ، وتصوير تطلعها ، من بينها مطولته «على طريق ارم» التى يحاول فيها أن يستهدى العقل والقلب والنفس والجسد ـ وهى قـــوى الذات الانسانية لديه على نحو ما أشرنا ـ الطريق نحو الغد المجهول ، متشوقا الى عالم الكمـــال الأمثل ، منتهيا الى أن الحياة الأولى للانسان ، بقيودها الصارمة ، وضروراتها المنتقصة من قدراته ، وحدودها المتناهية ، ليس فى طاقتها أن تمنح الانسان الطريق الى هذا العالم المثالى ·· وانما الانعتاق من هذه الحياة هو المعبر والطريق :

صـــاح قـــل : هل ترى فـــوق أوج الـــذرى
بارقـــا قـــد سرى مـــا وراء الحـــــدود
تلك نار الخلود

تـــلك نار تشـــيق كـــل طـــرف طليق
هـــل اليهـــا طـريق غـــير درب اللحـــود
اذ تحل القيود

على أن هذا العالم والمثال ـ فيما يرى الشاعر ـ هو ـ وان كان سبيلا للسعادة ـ طريق الى فناء الانسان فى المطلق والخالد ، وعودته جزءا من الكل ، على نحو مايقول:

تـــلك نار القـــرى والجيـــاع الـــورى
من اليهـــــا سرى ما أراه يعـــــود
بل سيغدو الوقود

وتلك هى فلسفة عودة المتناهى الى اللامتناهى التى عرضها فى نثره وشعره ميخائيل نعيمة ، وألم بأطراف منها جبران ، واعتنقاها معا مما ترامى اليهما من فلسفات الشرق القديمة ، وبخاصة فلسفة النرفانا الهندوسية - أى فناء الذات الانسانية فى براهما - التى ترى اكتمال دورة الحياة بعودة الجزء الى الكل ، واتحاد المحدود بالمطلق ، بعد تطهيره بالمرور فى حيوات مختلفة .

واذا كان مايسمى بشعر الاستبطان النفسى قد وصل بنعيمه وجبران وأبى ماضى ونسيب عريضة الى اعتناق عقائد وفلسفات واضحة .. وتفرعت عنه مجموعة هامة من الآراء - فى شعرنا المعاصر - فى قضايا مبدأ الحياة ومصيرها ، وكنه الوجود والحياة بعد الموت ، ثم فى فلسفة الخير والشر ، والثواب والعقاب ، على الجمية فى كل الأبعاد الشعورية والفكرية التى كانت محور الأديان ، ومحور الفلسفات الشرقية القديمة ، كما كانت من أهم مجالات الدراسات الانسانية المعاصرة ..

فأين يقف شاعرنا عبد الرحمن شكرى فى خضم هذه التيارات العاصفة .. ؟ .. هل كان محور الشعر النفسى عنده ذاته القلقة المتوترة المتألمة المحدودة بعالمها الفردى الخاص .. أم تلك الذات العميقة ، التى يحس الانسان - على نحو ما يصور الشعراء العظام - أنها صورة مصغرة من الكون والانسانية .. تحمل التشوف العظيم الى المطلق ، تعانى - على نحو انسانى - مأساة الوجود ،

وتتردد فى حناياها أرجاع الألم البشرى المدمر والخلاق معا.

لقد أشرنا من قبل الى أن الأعراض النفسية الزائلة، والأوهام العابرة ـ التى تكاد أن تكون ظواهر مرضية خاصة ـ والتى لا تتصل بجوهر النفس الانسانية فى عموميتها وشمولها قد استنفدت الكثير من شعر شكرى، وقد عبر عنها فى عجلة وفى كثرة لم تترك لها قيمة فنية تبقى ..

والاعتراض على قيمة هذا الشعر لا صلة له ـ من قريب أو بعيد ـ بفرض مشكلات نفسية على شاعرنا .. فللشاعر أن يصور نفسه كما يجدها .. لكن للتقييم الأخير لعمله الفنى رأيه .. حين يقدر المشكلة ذات الجانب العام، وذات الصلة الشمولية بكل نفس انسانية، وذات المساس بما يعنى الانسان منذ القدم، وسيظل يعنيه، من قضايا الوجود.

ولشكرى مجموعة من القصائد التى تناولت النفس فى جانبها العام، والتى حاول فيها أن يصل الى جوهر ذاته، وحقيقة الصلات بينها وبين أطراف الوجود.

فنراه أحيانا يقف على مشارف اللا أدرية .. معترفا بالعجز الانسانى عن الوصول الى الحقيقة، موقنا بأن الحياة الانسانية خدعة كبرى، ما على الانسان الا أن ينفض يديه من البحث فى أسرارها، آخذا شئون حياته باللين والمداجاة :

عشت في كل ســـاعة أبد الدهـر
وعالجت نضـــــرة وذبولا
ورمتني الحيـاة بالحلو والمـر
فطـــورا رغـدا وطــورا وبيـلا
ورفعت الستار عن خدعة العيش
وقهقهـــت ، وانتحبت عـــويلا
وصحبت الحياة في حالتيها
وخـــبرت القنوط والتأميـــلا
وأعـــاد الأنـــام قصة من ما
ت فكانوا قابيــــل أو هابيلا
ماترى النــاس في الحيــاة حيـارى
. ضــــل من كان عالما أو جهـــولا
لا تعني بأمـرها النفس يوما
فتصــــير الحيـاة فيك كبولا
ثم لن للزمان ما اشتد واجعـــله
اذا لان نجعــــــة ومقيـــــلا
ان يـــكن ينفع البـــكاء فانا
قـــد بكينا على الحياة طويلا
ورأينا الحيـــاة من كل وجه
وعشقنـــا كمالهــــا المستـــحيلا
ورجعنا الى الحقـــائق حـــتى
لم نعد نحسب الخيال جميلا
(ص ٢١٤)

غير أنه فى هذه القصيدة ذاتها ، وهو يحاول أن يكون متفائلا ، وداعيا الى أخذ الحياة بالملاينة ، وترك الفكر ، وعدم تعنية النفس بالتساؤلات التى لاتنتهى الى غاية ، يجد نفسه مدفوعا ـ وكأن ذلك قدر الانسان الدائم ـ الى التساؤل عما يخبئه الليل من أسرار ، ومايسدل على الحقائق من حجب :

مالهـــذا الليـــل البهيم حزين
مطـــرق يبحث الحيـــاة طويلا

ســـــل عيون الظـلام ، أنجمه الغر
أمـــا آن حـــــزنه أن يـــزولا

أحـــدادا على الورى يلبس الحالك
من جنحه يئـــل أليـــلا (١)

أم لأمـــر مخبأ فى حشاه
لم يـــدان ألبابنا والعقـــولا

أم ســـديل يخفى المقادير عنا
وســـتار فقـد مللنا السـديـلا

(ص ٢١٥)

ويعتد شكرى بعالم الحس ، ويرى أن بعد الانسان عن الاستهداء بحواسه سبيل الى فقدانه لعالم الحقيقة .. ولعل هذا غريب من شكرى الذى نفر من الحياة الاجتماعية وتألم من معاصريه أعظم الألم ، وتحدث عن شرور الناس وأحقـــادهم ، ومع ذلك فلم يقم عالمـا خياليا لسعادته ،

(١) اليل الليل : ما يتخيله المرء من الانين فى سكونه التام .

ولم يصطنع من الخيال والحلم ، أو أى وسيلة من وسائل الاستعلاء عن الحياة ، طريقـا الى التعرف على الحقيقة ، بل ظل الحس هو السبيل الأمثل فيما يرى :

خطـوة لا خطوتهـا أبد العمر
خطت بى فى عـالم الأرواح
أخرجتنى من عالم الحس حتى
خلت أنى أقضى بحينى المتـاح (١)
غاب عنى الوجود واسـتشعر الحس
اغترابا عن صرف دهـرى الوقاح
فعـرانى القنوط من صـولة الموت
وما لاح فى رباه الفسـاح
وابتغيت الطـريق أرجـع للحس
فأشفى به أوار التياحى(٢)
(٤١٩)

ويظل تلفت شكرى الى نفسه ، والى مايحسه من عمقها ورحابتها ، والى ماتعانيه من قلق ، فى مشـاهدته للطبيعة بمختلف مظاهرها ، وفى تشوفه للمطلق ، وفى تلمسه للحب ، ومناشدته للموت ، ومن ثم فان الحديث التالى عن شكرى لن يبعد كثيرا عن استجلاء نفسه ، التى

---

(١) الحين : الاجل .

(٢) الاوار : مرارة العطش .

كان شعر شـــكرى ، فى مختلف اتجاهاته تلك ، وثيق الصلة بها ، فامام المجهول كان ينشد :

أقضى حياتى بنفس لست أعرفها
وحولى الــكون لم تدرك مجاليــه

(٣٩٨)

وتجاه الطبيعة كان يقول :

وما النفس الا كالطبيعــــة وجهها
رياض واضـــواء بهـــا وبحـــور
وفيها صراخ أليم ان ماج موجـــه
وفيهـــا خـــرير خافت وغـــدير
وليـــل واصـــباح لهـــا وكواكب
تســـير بآفاق بهـــا وتدور
اذا كنت فى روض فقلبى طـــائر
يغنى على أغصـــــانه ويطـــير
وان كنت فوق البحر فالقلب موجة
تسرب فى أمواجــــه وتســـير
وان كنت فوق الشم فالقلب نسرها
وللنسر فى شـــم الجبـــال وكور
وتنشر اغصـــان الخـــريف زهورها
كما جـــاء بالشعر الجليل شـــعور

(ص ٢٢٦)

وكان شكرى لا يرى «الطبيعة» فى اطار منفصل عن

الحياة البشرية عامة ، بل يراها من خلال نفسه ، ومن خلال الحبيبة ، مازجا خفايا النفس ، وجمال الحبيبة ، بما تستثيره الطبيعة من اعجاب ، وما ترمز اليه من مطلق .. فالنفس ـ لديه ـ كالطبيعة ، والحبيبة أيضا مرآة كونية:

أنت مرآة ما يجيء به الكون
من الحسن .. بكرة وأصيلا
فأرى فى الصباح منك ضياء
وأرى فى المساء منك ذبولا
وارى فيك للظهيرة حرا
وفتورا لذا وظلا ظليلا
وارى فيك نسمة كليالى
الصيف حيث النسيم يسعى عليلا
وارى منك فى الخريف شبيها
ثمرا يانعا ، وزهرا جميلا
(ص ٢١٦)

ومن هذا نرى أن الحديث عن الطبيعة فى شعره ربما يكشف الكثير من ملامحه النفسية ، بل من فكره النفسى اذا صح التعبير .

٢ ـ عن الطبيعة :

في شعر شكرى فيض زاخر من الحديث عن الطبيعة، فى مشاهدها الجليلة الرائعة كالبحر والصحراء والغابة والشلال والجبل ، وغيرها من مظاهر قوة الطبيعة وعظمتها،

وفى مشاهدها الدقيقة الآسرة كالفراشـــات والزهـــور والعصافير والجداول الرقراقة ..

ومن وراء كل ذلك عقل يفكر ويتأمل ، وبصيرة تجمع أجزاء المشهد وتجسده ، وشوق ملح الى كشف أسرار الوجود ، وازالة حجبه ، فحين يناجي الغـابة ـ مثلا ـ يتذكر الآباد والافق البعيد ، وغابر الأزمان : قد حكيت الآباد ، كالبحر ، والصحراء ، من طول رضك الشجراء
وحجبت الأفق البعيد عن الطرف فأنســيت منتهى الأشياء
فكأن لا مدى لدوحك يرجى حين تدحى مطارح الغبراء
ورياح تشـــدو على ورق الدوح بألحان شـــدة أو رخاء
منطق لم يدع لنفسي شجونا لا يحاكي صفاتها فى الغناء
ثم تبدو الغصون فى هـــدأة الريح كناى معلق بالهـــواء
وكأنى أصغى الى غابر الدهر وما كان فيك من أرزاء

ونجد مثل هذه الخواطر فى قصائده الأخرى ، غير أننا نحس أنه يضع المشهد الطبيعى ـ فى غالب الأحيان ـ أمام باصرته ، يناجيه حينا ، ويصوره حينا آخـر ، كظاهرة خارجة عن وجوده ومنفصـــلة عنه ، فاذا قارنا قصـــائده الكثيرة عن الطبيعة بقصائد جبران ونعيمه وأبى ماضي ونسيب عريضة والقروى .. وجدنا هؤلاء الشعراء يمتزجون بالظاهرة الطبيعية ، وتشف هى عن مشاعرهم وأفكارهم ، ونراها محور فلسفة فى الحياة ، ومصـــدر تأويل لحرية الانسان وفضـــائله .. أما لدى شاعرنا شكرى فليست هناك فلسفة واضحة وراء كل هـــذه

القصائد الكثيرة عن الطبيعة ، والأفكار التى تثار حـول البحر والغابة والصحراء أفكار عامة ، لا تكون اتجاها فكريا ، ولا توحى بعمق فى التأمل أو رحابة فى الخيال .. فليس فيها ما يفجؤنا بعمق اكتشافاته النفسية ، ليس فيها تجسيدات باهرة من صنع الخيال الخلاق .. على نحـــو ما نرى فى الميثـــولوجيا اليونانية ، حيث نحس بالطبيعة ومشاهدها ، وقواها ، وأحاسيس الانســـان ازاءها ، من خلال التجسيد الفنى ، والنسيج الحكائى ، الذى يصهر اللفتة الجزئية فى رؤية كلية .. ويتيح للخيال الشعرى فرصة الخلق والابتكار ..

لقد إستفادت مدرسة الديوان كثيرا من المدرسة الرومانتيكية ، ولكننا قليلا ما نحس بعمـــق هـــذه الاستفادات ، كما نحسها فى شعراء مدرسة المهجر .. فقل أن نجد فى شعر شكرى وزميليه هذه النظرة الكلية للطبيعة . وهذا الاحساس الشمولى بالكون ، وهـــذا التواصل العميق بين الانسان ومختلف مظاهر الوجود..

٣ ــ أمام المطلق :

تحتل قصيدة « الى المجهول » مكانة فـريدة فى شعر شكرى فى تعبيرها عن توق الانسان الى المطلق، وقلقه من غماء الجهـــالة ، وهى تجمع كل ما تناثر من هـــذه الأحاسيس فى شعره كله لتقدمه فى صورة قوية ، مفعمة بالمشاعر الجيـاشة .. ويرى شكرى أن الولوع بالمجهول

من أمور الحياة والطبيعة والنفس والكون ، والشغف باستطلاعه وكشفه ، هو الذى أخرج الانسان من عصور البداوة الى عصور الحضارة ، وهو الذى ما زال قادرا على تطوير الحياة الانسانية والصعود بها فى مدارج الرقى .. (١) .

واذا كانت هذه القصيدة تقف عند حدود التعبير عن الشوق الى المجهول ، والرغبة فى استكناه الغيب ، فى خواطر متتابعة ولكنها غير متنامية ، وغير مرتبطة على نحو عضوى بكيان القصيدة ، لأن القصيدة ليست مخلوقا متكاملا ، بقدر ما هى مجموعة من الفكر الجزئية ، وان كان يشع فى كل منها قدر من وهج التجربة ، فان لدى شكرى قصيدة أخرى قد جسد فيها هذا التوق الى المعرفة فى « انسان يعيش دهرا بعد دهر ، فى كل حال وفى كل مكان ، حتى يملأ العطف قلبه ، ويرى أن نشدان الحق غاية الحياة»(٢) واكتسبت القصيدة بهذا التجسيد والقالب الحكائى الذى تحرك فيه هذا « الباحث الأزلى » وحدة فنية تخلص القارىء من الاحساس بالملل الذى يعتريه أمام قصائده الأخرى التى تعتمد على توارد الخواطر ..

يبدأ شكرى قصيدته الأخيرة بهذا المطلع القصصى الذى يجتذبنا الى أجواء الرواية المشوقة :

---

(١) انظر ديوانه ص ٣٩٦ .

(٢) انظر ديوانه ص ٢٩٢ .

بينمـــا كنت سائرا لاح شـــيخ
ذو ســـكون ونظــرة هوجـــاء
ويكاد الضـــياء ينفـــذ منـــه
فهـــو بين الأنام صنو الهــواء
باحث فى الســـماء يطلب شيئا
غاب عن عين غيره فى الســماء

هو ــ اذن ــ انسان يقع بين الحقيقة والخيال ، وقد نجد تناقضا فى التعبير الجزئى بين السكون والنظرة الهوجاء ، الا أن ذلك التناقض ينبعث عنـد شكرى من لجوئه أحيانا ــ كما أشرنا من قبل ــ الى المعاجم .. والى عقلانية تكوين الجملة ، فصحيح عقليا أن يكون المرء ساكن الأطراف وذا نظرة قلقة متوترة .. ولكن الايحاء الشعورى للتعبير يعارض هذه العقلانية .. ويرى أن صاحب النظرة الهوجاء لا يوحى .. قط ــ بالسكينة ، وأن الســكينة شعور داخلى ، قد تكون النظرة الهادئة المفعمة بالرضى أول المظاهر عليه .. لكننا نمضى عن هذه الجزئية الى اكتشاف معالم القصيدة الكلية .. لنرى الشاعر مستمرا فى تقديم شيخه الينا :

كنت والكون فى الطفــولة أغدو
وشـــباب الأيام فى الغلواء
وصرعت المنــون حتى لأنســانى
طول الحيـــاة حكم الفنـــاء
عشت دهرى بالبحث والأمل الحــلو ولولاه لم أفز بالنجاء

انه مخلوق الهى خالد ، هو ذاته ، أمل الانسانية »
ذلك الأمل الذى يتجدد فى كل جيل ، وما تزيده الأيام
الا محبة فى المعرفة نشدانا للوصول :

أنشد الحق بالتقلب فى العيش وأبغى سريرة الأشياء

يحدث الشاعر عن رحلته الطويلة ·· منذ أن بصر
بالانسان طفلا ، وصاحبه فى مختلف حضاراته يعرف
ويعرف ويعرف .. لا ينتهى الى شىء محدد ، ولا يقف
عند غاية بعينها ·· هو باحث أزلى ، وهو الانسان فى
نزوعه الدائم نحو المعرفة ، وفيما يرثه من كل الاختبارات
الحضارية الماضية ، كما يخاطب الشيخ الشاعر فى النهاية:

أنت أيضا شهدت هذا جميعا
غير أن لا تعد فى الفطناء
قال ما قال ثم غاب عن العين
كما يخفت الصدى فى الهواء

ثمة قصور فى تكوين القصيدة عند شكرى .. حتى
قصائده الموضوعية القصصية .. التى كانت قمينة
بالتكامل الفنى ، لو استغل شكرى عناصر القصة ،وأجاد
توظيفها فى بناء قصائده ..

تبدأ هذه القصة باللقاء بين الشاعر وبين الباحث
الأزلى ، وبسؤال الشاعر : يا شيخ ما دهاك ؟ وما شأنك
بين الأموات والأحياء ؟ .. ثم يرد عليه الشيخ بأنه كذا
وكذا الى نهاية القصيدة .. فى اغفال تام للشاعر ـ الطرف

الآخر فى الموقف ــ وكأن لم يكن له وجود .. دون استغلال لعنصر الحوار ، وما يمكن أن يثرى به القصيدة ..

وبذلك تتحرك القصيدة فى مستوى تكوينى واحد ، هو مستوى الغنائية البسيط ، دون أن تتضافر عناصر الموضوعية على خلق عمل فنى مركب ، وعميق الدلالات..

وختاما :

هذه صفحات من شاعرنا عبد الرحمن شكرى .. تشير الى بعض الملامح فى حياته وفى شعره .. فلئن كانت مقدمة لدراسته ، أو مثيرة وباعثة على هذه الدراسة ، فى تفرغ لها واحتشاد .. فحسبها أن كان رائدها الاخلاص .

والله الموفق .

عبد الرحمن شكري

حياته في سطور

– ١٢ من اكتوبر ١٨٨٦ ولد الشاعر بمدينة بور سعيد
– ١٩٠٠ حصل على الشهادة الابتدائية .
– مايو ١٩٠٤ نال الشهادة الثانوية .
– ١٩٠٤ التحق بكلية الحقوق (مدرسة الحقوق) .
– ١٩٠٦ فصل من كلية الحقوق لشعره الوطني ، متهماً بالتحريض على الثورة لانشاده قصيدة في احدى المظاهرات مطلعها :

ثباتا فان العار أصعب محملا
من الذل ، لا يفضى بنا الذل للعار

– ١٩٠٦ التحق بمدرسة المعلمين .
– ١٩٠٩ . نال دبلومها بتفوق .. وفي هذه المدرسة التقى الشاعر بزميل في الدراسة هو ابراهيم عبد القادر المازني فجمعتهما الميول الادبية المشتركة، وعرفه المازني بالعقاد فتمت الصحبة للثلاثة الذين نتج عن لقائهم ، واقتراب ميولهم ، وتشابه صلاتهم

بالادب الانجليزى ، وثورتهم على جمود الشعر والحياة العربية .. ما يشبه أن يكون مدرسة أدبية متحدة فى أصولهـا النظرية ، وابداعها الفنى ، وأسسها النقـدية ، وهى المدرسة التى عرفت فى الدراسات الادبية اللاحقة بمـدرسة «الديوان» نسبة الى كتاب «الديوان» الذى أصدره العقاد والمازنى عام ١٩٢١ .. وضم الاصـول النظرية والنماذج التطبيقية لدعوتهم الى التجديد ..

١٩٠٩ • صدر الديوان الاول لعبـد الرحمن شكرى «ضوء الفجر» فلفت الانظار الى شاعريته المبكرة ..

١٩٠٩ ــ ١٩١٢ ثلاث سـنوات قضـاها مبعوثا الى انكلترا ينهل من فيض الحياة والادب الانجليزى .. ويحس بالحضارة الغربية احساس تأمل ومشاهدة..

٣١ أكتوبر ١٩١٢ حاز من جامعة شفليد درجة B.A. فى الآداب •

١٩١٣ صدر ديوانه الثـانى بمقدمة للعقاد .. يوضح الاسس الاولى لدعوتهم الى تجديد الشعر •

١٩١٦ صدر ديوانه الخامس «الخطرات» بمقدمة يعقب فيها على شعر المازنى ، ونقله لعدد من قصائد الشعر الانجليزى دون اشارة الى أنه يترجم ، موهما القراء أنها من شعره ، وختمها بقوله : ولو أنى رأيت عفريتا

لما عرانى من الحـــيرة والدهشة قدر ماعرانى لرؤية هذه الاشياء ··· ولســــنا فى قرية من قرى النمل حتى تخفى ··

•• ١٩١٩ صدر آخر ديوان رأى النور فى حياة صاحبه «أزهار الخريف» ·

•• ١٩٢١ صـــــدر «الديوان» للعقــاد والمازنى ، متضمنا هجـــوما عنيفا على شـــكرى ، متهما اياه بضـحالة شاعريته ، واضـطراب شـــخصيته ، والتياث عقله بالأوهام ·· فكانت صدمة شـكرى بهـــذه الحملة فادحة ·· ومن ثم بدأ ــ بجانب ارتيابه الاصيل فى النفس الانسانية ــ ينزوى عن الحياة ·· ولا يظهر له من النتاج الادبى الا القليل ، والا ما تخفى تحت الحروف الاولى من اسمه ··

•• ١٩١٢ ــ ١٩٣٨ اشتغل بالتعليم فى وزارة المعارف، متنقلا فى بعض المناصب وفى بعض البلدان ، حتى آثر أخيرا أن يعتزل الخدمة ·· وأن يعود الى مسقط رأسه بورســـعيد ·· منضما الى أسرة أخيه حيث لم يشأ فى حياته أن ينشىء أسرة خاصة به ·· بل عاش وحيدا ··

•• ١٩٥٢ أصيب بالشلل ··

•• ١٩٥٥ انتقل الى الاسكندرية

١٩٥٨ فى الساعة الثـــانية بعد ظهر الاثنين ١٥ من ديسمبر عام ١٩٥٨ انتقل الشاعر الى رحمة الله٠٠

١٩٦٠ صدر ديوان جامع لشعر الشاعر ٠٠ طبع على نفقة تلميذ محب للشاعر (عبد العزيز مخيون) وقد جمعه وحققه وقـدم له بدراسة جامعة مفيدة تلميذه الاستاذ الاديب نقولا يوسف ٠

بقى أن نقول : ان هناك متنـاثرا فى بطون عديد من المجـلات الادبية عديد من المقالات الادبية لشاعرنا عبد الرحمن شـكرى تنتظر دراسة خاصة تكشف عما فيهـا من قيم فنية وأصالة فكرية ٠٠ وبذلك يوضع عبـد الرحمن شـكرى أمام القارىء المعاصر ٠٠ وضعا صحيحا ٠٠ شـاعرا ومفكرا ٠٠


قصائد مختارة

نماذج من

غلام مريض يكلم أمه

خبريني أمي أئن مت ماتت
نزعاتي اليكم وحنيني ؟
والحنسان الذي أضم به كل
قريب معانق أو قرين
والضياء الذي ترين بعيني
أمضيء سواد تلك المنون(١)
وهل المرء في الممات غبين
أم هو المرء فيه غير غبين
عاهديني أن لا تعاني لموتي
حرقات تفيض ماء الشجون
واذا شئت فاجعليه رشاشا
ذلك الدمع،واحبسي من أنين(٢)

(١) ضياء العين : لمعانها .

(٢) الرشاش : القليل من الماء او الدمع .

فى قليل من البكاء بلاغ
وكثير البكاء داء العيـــون
لست أرضى لحـــر وجهـــك أن يز
رى به من شحوب وجه الحزين
لســـت أرضى الأضلع حملتنى
أن تعـانى حمل الأسى المكنون
ولصدر قـــد كان يحنـــو على جسمى
فى المهد لوعة من شجون
العصـــافير فى الرياض تغنى
لا كجســـمى تحت التراب دفين
كنت فى العيش مثـل هذى العصافير
أغنى فى وكرى المـــأمون
فالاحت لى المنـــون بوجــــه
أى راء يرضيه وجه المنون
ليس ما بى خـــوف الجبـان ولكن
خوف جهل لاخوف جبن وهون[1]
كالمكان الخـــراب يبعث فى النفس
خشـــوعا ورعدة للظنين [2]
فهو يخشى وليس يعـــرف ما يخشى
ووجه الفناء غـــير أمين

---

(١) الهون : الهوان والذل

(٢) الظنين : المتهم . ويبعث له رعدة لانه يذكره بجنايته .

عيون الندى

عيـــون الندى كونى على الزهر انه
يطل على العشاق منك ويشرف

فليس عيون الغيد أشــعلها الصبى
بأروع فى لألائهـا حين تعطف

ولا أطفأت منك الغزالة رونقـا
على الروض جذلان المدامع يذرف

ولا زال مكسال النســيم اذا سرى
على روضة يحنو عليك ويرؤف

يهزك هز الظئر مهد وليـــدها
فلاالمهديشكوها، ولاهى تعنف(١)

ولا زال غريد العصـافير واقعاً
على الزهر يحسو منك ريا ويرشف

(١) الظئر : المرضع .

إلى المجهول

يحوطني منك بحر لست أعرفه
ومهمه لسـت أدرى ما أقاصيه
أقضى حيـاتى بنفس لست أعرفها
وحولى الكون لم تدرك مجاليه
ياليت لى نظرة فى الغيب تسـعدنى
لعل فيه ضـياء الحق تبديه
اخال أنى غريب وهو لى وطن
خاب الغريب الذى يرجو مقاصيه
أوليت لى خطوة تدحو مجاهله
وتكشف الستر عن خافى مساعيه
كأن روحى عود أنت تحـكمه
فابسط يديك وأطلق من أغانيه
والروح كالكون لا تبـدو أسافله
عند اللبيب ولا تبـدو أعاليه
وأكبـر الظن أنى هالك أبدا
شوقا اليك وقلبى فيه ما فيه

من حسرة وإباء لست أملكه
يأبى لى العيش لم تدرك معانيه

وأنت فى السكون من قاص ومقترب
قد استوى فيك قاصيه ودانيه

كأننى منك فى ناب لمفترس
المرء يسعى، ولغز العيش يدميه

كم تجعل العقل طفلا حار حائره
ورب مطلب قد خاب باغيه

لو النبال نبال القوس مضمية
كنت ادريت بسهم القوس أرميه

أو كان للسحر سهم نافذ أبدا
لكان لى منه سهم صال راميه

يا مصلت السيف قد فلت مضاربه
ورامى السهم قد خابت مراميه

قلبى يحدثنى ألا يليق به
رضا بجهل ذليل اللب يرضيه

قد ثار ثائر نفس عز مطلبها
وطار طائر لب فى مراقيه

كالنسر لا حاجب للشمس يحرقه
ولا الصواعق والأرواح تثنيه

وأنت كالليل والأفهام حائرة
مثل العيون علاها منك داجيه

ليــــل مهيب كليــــل البحر حندسه
تكاد تسمع منه صــوت طاميه
فليت لى فكرة كالـكون واسعة
أدحو بها الكون تبدو لى خوافيه
ليس الطموح الى المجهـــول من سفه
ولا الســـمو الى حــق بمكروه
ان لم أنل منه ما أروى الغليـــل به
قد يجحد المرء ماء ليس يرويه
والقانعون بما قد دان عيشهم
موتى فان خضوع اللب يرديه
يا قلب يهنيـــك نبض كله حـــرق
الى الغـــرائب ممـــا عز ساميه
فالعيش حب لمـــا استعصت مسالكه
تجارب المرء تدميه وتعليه
كم ليلة بتهـــا ولهان ذا أمل
لم يســل قلبى أن غابت أمانيه
لعـــل خاطر فكر طارقى عرضا
يدنو بما أنا طول العمر أبغيه
يوضـــح الغـــامض المستور عن فطن
وأفهم العيش تســتهوى بواديه

خطوة عن عالم الحس

خطوة لا خطوتها أبـــد العمر
خطـت بى فى عـــالم الأرواح

أخرجتنى من عالم الحس حتى
خلت أنى أقضى بحينى المتـاح

غاب عنى الوجـود واستشعر الحس
اغترابا عن صرف دهرى الوقاح

خلت أنى فى النــوم أبصر حلمــا
كيف أغفى والقلب يقظان صاحى

رحت أسعى كمصحر بان عنه الصـ
ـــحب فردا ذا وحشة واطراح

أو كذى الجرم حين طـــال به السـ
ـجن يضل الطريق عند السراح

عالم غـــير عالم الحس أبغى
فيه عونا على الصروف الشحاح

حيث تبـــدو النفوس فيه جهـــارا
عاريات من جسمها والوشـاح

فنفـــوس ملســـاء كالغادة الرو
د وأخرى قـد أدميت من جراح

وأرى فيه كل أمر تقضى
من سرور وخيبة ونجـاح

وأرى ما دفنت من خطـــرات
وأرى فيه ما مضى من طمـــاح

وتكاد الأشـــباح يلمســها المرء
لها جرس فرحة أو نواح

وأرى أوجه الدهور التى فاتـــ
ـــت بسلم من أمرها وكفـاح

وأرى أوجه الليـــالى التى مر
ت سراعا بنا كمر الرياح

وأرى عيشى الذى قـــد تقضى
فى صلاح أوغية وجمـاح

وأرى وجه من عرفت ومن ما
توا وواراهم أديم البطاح

فعرانى القنـــوط من صـولة الموت
وما لاح فى رباه الفساح

وابتغيت الطريق أرجـع للحـــ
ـــس فأشفى به أوار التياحى

غـــير أنى أضللته ومضى بى الخـــ
ـــطو حتى أنكرت وجه رواحى

خطوة اثـــر خطوة فيـــه حتى
قد هدانى خطوى لنهج النجاح

خذ بقولى ولا تضل عن الحـ
ــــس فيارب نعمة فى انتصاح

انما الفـــكر خطوة تنقل المرء
فحاذر إضلال وجه المراح

الغابة

قـــد حكيت الآباد كالبحر والصـــ
حراء من طول أرضك الشجراء
وحجبت الأفـــق البعيد عن الطرف
فانسيت منتهى الأشـــياء
فكأن لا مدى لدوحـــك يرجى
حين تدحى مطارح الغبراء
ورياح تشـــدو على ورق الدو
ح بالحان شدة أو رخاء
منطق لم يدع لنفس شـــجونا
لا يحـــاكى صفاتها فى الغناء
ثم تبـــدو الغصون فى هـــدأة الريـ
ـــح كناى معلق بالهواء
وكأنى أصـــغى الى غابر الد
هـــر وما كان فيـــه من أرزاء
وكأن المســـاء ظلل دوحا
يتسامى ولات حين مســـاء

وكأن الظـــلام دس كمينـــا
رابضا فى آجامك الدكناء
خطرت فى ظـــلام دوحك أروا
ح وناجت مسامع القدماء
لبث القوم فيـــك دهرا فناجا
هم سرار الفنون بالايحاء
عمدا شـــيدوا وسقفا لبهـــو
واستمدوا من غابة وسماء
حين شادوا للدين بيعة ايمـــان
تبـــدت كالغـــابة اللفاء
صرت ملهى وكنت غيـــلا مخوفا
وملاذ اللصوص والطرداء
وارتضيت الأمان من بعد ذعر
لم يزل فى المدينة الشماء
غابة شـــــادها ابن آدم نزلا
دوحها من قصورها الزهراء
وبمـــا عرشت وضـــاقت فلا شمـــ
ـــس لديهـــا ولا مراح الهواء
ومخـــوف من الفجـــاءة فيها
كمخوف فى الغـــابة القتماء
كم وحيد لا يعرف الأنس فيها
أصبحت نفسه كقفر خلاء

ضــاق ذرعا بنفسه فغـــدا ينشــــ
ــد طيفا فى معرض الأحيــاء
عــذبته لواعـــج الشمس حتى
أخذته لواعـج الظلمـــاء
وأفاع فى دورها وقـــرود
ووحوش من ناســـها بالعراء
وغـــريب ومعـــدم وطريد
قـــد عداه حتى خداع الرجاء
فكأن الاقوام لم يخرجوا منك
ولا زال عهـــدك المتنائى
سنة قـــد سننتها فى نفوس
ان دعتهـــا كانت جواب النداء

فهرس

المطبعة الثقافية

رقم الايداع بدار الكتب ٦٤٦٤ / ١٩٧٠

وزارة الثقافة
الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر

المركز الرئيسي ١١١٧ شارع كورنيش النيل – القاهرة – ج.ع.م.
تليفون : ٧١٠٥٥ / ٧١٠٥٨ تلغرافياً : يانشرو

الادارة العامة للتوزيع : ١٧ شارع قصر النيل – القاهرة – ج.ع.م.
تليفون : ٤٥٥٨٩ / ٤٧٤٣٦ .

مكتبات القومية للتوزيع فى ج . ع . م .

القــــاهرة

٣٦ شارع شريف ت : ٤٠٠١٢ — ١٩ شارع ٢٦ يوليو ت : ٥٥٠٣٢
٥ ميدان عرابى ت : ٤٦٣٨٣ — ٢٢ شارع الجمهورية ت : ٩١٤٢٢٣
١٣ شارع المبتديان ت : ٢١١٨٧ — الباب الأخضر بالحسين ت : ٩١٣٤٤٧

الاسكندرية : ٤٩ شارع سعد زغلول ٢٢٩٢٥ — الجيزة : ١ ميدان الجيزة ت: ٨٩٨٣١١
دمنهور : شارع عبد السلام الشاذلى ٢٦٠٥ — المنيا : شارع ابن خصيب ت: ٤٤٥١
طنطا : ميدان الساعة ٢٥٩٤ — اسيوط : شارع الجمهورية ت: ٢٠٣٢
المحلة الكبرى: ميدان المحطة ٤٢٧٧ — اسوان : السوق السياحى ت: ٢٩٣٠
المنصورة : أول شارع الثورة ٣٨٦٤

مراكز التوزيع خارج ج . ع . م

لبنان : الشركة القومية للتوزيع – بيروت – شارع سوريا بناية أبناء صمدى وصالحة
العراق: الشركة القومية للتوزيع – بغداد – ميدان التحرير – عمارة فاطمة

توكيلات وعملاء دائمين خارج ج . ع . م

الكويت : وكالة المطبوعات ٢٧ شارع فهد السالم بالكويت
الاردن : مكتبة المحتسب – عمان
ليبيا : محمود عارف الشويهدى – طرابلس
اندونيسيا : عبد الله محمد العيدروس – جاكرتا
تونس : الشركة التونسية للتوزيع ٥ شارع قرطاج – تونس
الجزائر : ٩٢ شارع ديدوش مراد بالجزائر العاصمة
المغرب : المركز الثقافى العربى للنشر والتوزيع ٤٢ – ٤٤ الشارع الملكى – الاحباس – الدار البيضاء
هولندا : مكتبة بريل – ليدن

الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر
فى خدمة القارئ العربى



د. أنس داود

- دكتوراه مع مرتبة الشرف الاولى في النقد الادبى . من جامعة القاهرة .
- شارك بقصائده ودراساته فى كثير من المجلات الأدبية فى العالم العربى .
- صدر له ديوانان من الشعر :
  - حبيبتى والمدينة الحزينة ١٩٦٤
  - بقايا عبير ١٩٦٦
- ودراسات :
  - الطبيعة في شعر المهجر ١٩٦٥
  - التجديد فى شعر المهجر ١٩٦٧
- سيصدر له قريبا ديوانه الثالث
  - عندما يورق الشجر



يصدر قري...

الأغنية الش...

أول ديسمبر ١٩٧٠

الثمن ٥ قروش

المكتبة الثقافية

(جامعة حرة)

- خلاصة الفكر القومى والإنسانى
- تجعل المعرفة متعة تعمق الشعور بالحياة ، وسلاحًا يساعد على الإنتصار فى معركة الحياة

يشرف على السلسلة

الدكتور شكرى محمد عياد